شُبهة

شُبهة

شُبهة

رواية

هديل قاسم

المكتبة الشعبية ناشرون

شُبهة

هديل قاسم

1436 هـ - 2015م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

المكتبة الشعبية ناشرون فلسطين نابلس شارع حطين

تلفون 092380468

صَف داخلي: يوسف خندقجي

فرز الألوان والطباعة:مطبعة النصر/الحجاوي

نابلس فلسطين

تلفون 092311863

يمنع نسخ أو إستعمال اي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية وميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر .

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تُعبر بالضرورة عن رأي الناشر **المكتبة الشعبية ناشرون**

إهداء . . .

إلى من يقرؤون وهم بعيدون عن العقل وغارقون بالعاطفة

إلى لوحة راقصة يجسدها رجل وامرأة ووطن .

هديل معتصم قاسم

لصديقتي التي التقيت بها صدفةً بعد ثلاث سنوات ممسكةً بيدها طفلها الصغير يحمل اسم حبيبها الذي قد عاهدها على أن يبقى بجانبها ، فأبت بأن يحاسب على عهده فأسمت صغيرها باسمه ! ولسؤالها المتكرر لزوجها لِم أسميت ابنتي "رغد" . . .

(كما تدين تدان)

شكر خاص :

إلى من أختصر حروفي في لوحة فنية " تصميم الغلاف" المبدع (أحمد نشوان)

إلى من قام بتدقيق حروف روايتي (أمين أبو عره)

إلى كل شخص قد أوجعني ...

إلى كل شخص قام بمساندتي لأتمم هذه الرواية (عائلتي) .

إلى تلك الحياة التي صفعتني بالخيبة تلو الخيبة، فجعلتني أكتب !

لكل صديقة قامت بخذلاني يوما .

ولكل مرة وقعت بها، فتشبثت بحروفي لأقف مجدا .

ولرجل من السراب أكتب،لفلسطين أمي ولكلّ امرأة أوجعتها ذكرياتها أكتب...

إلى كل من عاشر حواء وقال بأنها لعنة من السماء أكتب...

وإلى كل أنثى تنازلت لآدم ظناً بأنها ستحيى بتنازلاتها من أجله أكتب...

لكل روح صعدت للسماء متألمة من حقد أو خيبة أو جرح أحدهم أكتب...

ولنفسي التي ذاقت العذاب أكتب .

المقدمة:

كنت على يقين بأنه رجل من سراب، إن يقترب هنيهة يبتعد كثيرا، ويتلاشى قريبا، لكنني كنت أجهل بأن السراب يؤذي العطشان كثيرا، كنت أظنه أملاً يصيبني فقط، فأقترب منه فيختفي فأتمنى لو أجده حقيقة.

أي سراب قد لاحقته أنت؟ أذاك الموجع ؟ أم الأمل الذي سيأتينني منه

رجل عرفته في خيالي، رسمته على ورقة بقلم وممحاة، إن انسجه بطلا أميته حرفا ...

إن أرسمه ملاكا حتى امحيه شيطانا ...

تعوذت منه كثيرا، من لعنة الحب التي تصيب الفتيات،لكنها أصابتني وما زالت توجعني كثيرا .

قلت لي في يوم قد تأخرتُ فيه عن البيت:أخبري أمك بأنه هناك حاجز على عناب، أريد أن أتأملك أكثر، ضحكت حينها وأخبرت أمي بأنني قد تأخرت بسبب الحواجز، وللصدفة أمّي كانت هناك، وقالت أخبريه بأن لا يعلّم صغيرتي

الكذب فضحكت!

أتذكر تلك الليلة التي عشناها في بيت عمي، كنت حينها تخبرني بأنك ستحقق لي كل ما أريد، أتيتَ تحمل لي باقة من الورود الحمراء، لكنني لا أحب الورد لقد أخطأت ثانية في أنثاك.

فخجلت حينها وقلت: بأنك تحب أن تهدي الورد ورداً

قلت :كفاك مراوغة وذهبت .

في ليلة أخرى حينما كنا نتسامر على ضوء القمر، كنت تخبرني بأن القمر الذي تراه مختلفاً عما أراه، لأنك في مكان آخر وحلفت كثيرا بأنه ذاته ،أخبرتني: أنا في النصف الآخر من الكرة الأرضية أرى شمسا وليس قمرا، فابتسمت وصمتَ.

أنا لا أحتاجك بقدر احتياجي لعينيك وقلبك وصوتك الحنون، ألم أقل لك سابقا بأنك "الأكسجين الذي أتنفسه" لعلك لم تعلم معادلته بعد، ففي كل كلمة تقولها تخرج ثاني أكسيد الكربون من قلبي لتتلاقى مع همسات صوتك، محولة إياه لأكسجين لا تنقصه ذرة للحياة.تبدو لك الأمور غريبة، تبدو نظراتي شاحبة حينما أنظر إليك أكاد أجزم بأنك لم تلتق بامرأة مثلي منذ عصور مفعمة بالحب، شاحبة كالليمون وكيف يلتقي الحب في عينيَّ اللّتين يملأهما الذبول.

بعدما أنهي هذه الرواية سيصفقون لي كثيرا، ستصلني تهانٍ كثيرة على إنجازي هذا إن لامست أوجاعهم قليلا، لكن أنت وحدك لن تصفق لي،ستنظر من بعيد لفتاة تحمل روايتي وتقرأ وتلعنك جهرا، ستعاتبني بينك وبين نفسك كثيرا وتقول : أي امرأة أنتِ!

لا أكتب لغيابك، بل لتلك السنين التي أوجعتني بها، السنين التي قضيتها منهكة في دراستي لكي أنساك، وأقسم بأنني لم أنسَك ولو للحظة.

كيف لي أن أنسى.. وكلما فتحت دفتري، وجدت اسمك الذي قد نسجته كثيرا وكثيرا دون وعي .

أخاف أن يفتح والدي الدفتر، فيقول بينه وبين نفسه، ما بها فتاتي تكتب عمر كثيرا، ويختلط به الأمر ويظن بأنني أخط اسمه وفقط، فيطبع بقبلة على جبيني ويرضى عني .

لم يعلم أبي قط، بأن صغيرته مغرمة بأحدهم، وفي كل مرة كتبت عمر لم تقصده قط، إن أصعب شيء أن تعشق الفتاة شاب باسم أبيها، يلاصقها دوما، تستمع له في الجامعة في العمل في كل مكان، رغبت كثيرا بتبديل اسم والدي، ولم يخطر في ذهني بأن أبدلك أنت، بقسوتك وأنانيتك وكل شيء.

الفصل الأول " صدفة "

الأشواك لا تؤلم من يقترب منها إذا لم يلمسها ...

والنغمات الموسيقية لا يستطيع تذوقها رجل أصم...

والذكريات إن لم تزرع بالحب والحنين لا تبقى ذكريات بل تصبح أوجاع تقتل صاحبها...

والحياة بلا ألوان أو بألوان لشخص ضرير على حد سواء والقلوب الموصدة صعب أن تقع في قصة عشق مع الحياة ما لم يعبث أخر بكيانها ويجعلها في قصة عشق ما بين ليل وضحاه .

كأسطورة إغريقية يونانية يتبعها شعب كامل دون أية صلة بالحقيقة . أسطورة نسجها آباؤهم، وأمنوا بها، دون أن يتحرّوا صحتها .

ككلمات بذيئة ينطقها طفل لأول مرة، تضع في رؤوسنا ألف سؤال من أين أتى بهذه الكلمات ؟ ونحن نعلم أننا من تحدثنا بها أمامه .

سرت خلفه مع أنني ما اعتدت ذلك أبدا، كنت دائما شخصية قيادية لا تستطيع أن تقع خلف ظل رجل، ولا أن تسير إلى مستقبل مجهول، لكنني تتبعته دون وعي، وتجاهلت كلماتي القاسية عن الرجال .

ولأن الحب يشبه لوحة راقصة يجسدها رجل وامرأة، يقذفها بالهواء، وهي على يقين بأنه سيمسك بها حينما تعود إليه فينظر إلى أخرى مرّت في طريقه، لتقع وتنكسر هيّ فيحمد الله على أنه لم يصب بأذى، لكنه سيدرك متأخرا بأنه خسر نجاح لوحته الراقصة التي خطط لها سنين طويلة وسيبقى طوال عمره ينتظر تصفيقات الناس له في تلك الليلة .

ومن منطلق هذه اللوحة لم أكن أريد أن أحب رجلا اعتياديا، يأتيني بباقات الورود ليلا، ويفاجئني بالقليل من الشوكلاتة المخبأة في جيبه وقت الحاجة، كل ما أردته رجلا أكمل لوحتي الراقصة معه دون أن أخاف الوقوع إن أفلت يديه، رجلا يمسك بأمنياتي ويدي ويأخذني إلى واقع جميل، كنت أريده جميلا، ذا ذقن خفيفة، وغمازة على خذه الأيمن، وشعر كثيف يغطي رأسه ويا حبذا لو كان فلسطينيّا .

إلى أن التقيت بك تلاشت أحلامي وأبدلتها بواقع معك، فغدوت تأخذ بيدي إلى الهاوية، وأنا أظن بأنك لن تتركها أبدا، لكن وقوعي عليك كان الفاجعة بالنسبة لك،فلم أصب أنا إلا قليلا، وتركت بك ندوبا لن يشفيها الزمان .

أتذكر جيدا ذلك اليوم الذي كنا نتحدث فيه على "الفايبر" خطر في ذهني سؤال، عمر ما الشيء الذي جعلك تحادثني على "الفيسبوك " ؟أجبني بصراحة .

أطلقت ضحكة عنيفة حينها، وقلت لي: إن فتاة تضع على حسابها " عذرا نيوتن أنا سر الجاذبية وبالوقت ذاته، تضع صورة لا تمت للجاذبية بصلة أثارت الفضول في نفسي لأسألها عن هذا الانفصام الذي تعاني منه .

هل تقصد :أنني أعاني من انفصام الشخصية ؟

لا يا صديقتي، أمازحك فقط .

كنت غامضا، لم تبتعد ولو لمرة عن المراوغة في أجوبتك، لم أستطع ولو ليوم بأن آخذ جواباً على شيء يحيرني، كانت أجوبتك توقعني بحيرة من أمري، وتنتهي نقاشتنا دائما بأن تصمت لأنك لا تريد مناقشة الأمور أكثر .

لم أكن أؤمن بأن تلك المحادثات الإلكترونية، قادرة على أن تملأ قلبي بعواطف جياشة، أو ربمّا ابتعادي عن الحب عشرين عاما هو من أوقعني بك !

كنت أضحك على صديقتي، التي تعشق شابا على الفيسبوك، كانت تريني صورته دائما، وتقول لي :أحبه كيف تحبينه ولم تريه قط، لم تلامس يداك يديه، ولم تنظري في عينيه حينما يقولها لك، كيف لمشاعر الكترونية أن تنتشلك من عالمك الحالي إلى حب افتراضيّ، أي حب هذا دون دقات القلب التي يكاد يسمعها الجميع حينما تلتقين به.

أظن بأن صديقتي قامت بالدعاء عليّ سرا حينها، ولم أسمع جهرا إلا كلمة ستتورطين به، نظرت إليها متعجبة أتدعين عليّ بالحب ؟

قالت : بل أدعو لك بالحب .

كانت تؤمن به كعرس وطني، تتغنى به في كل دقيقة وثانية، ولم أرد أن أصفعها بحقدي على الحب ذلك، اكتفيت بالنظر إليها وقلت : إن شاء الله يحبني شخص ...

ابتسمت صديقتي وكأنها امتلكت كنزا، أنتِ يا رهف تريدين الحب وعداءكما سويا، نظرت إليها وقلت: مندعى علي به!

فقالت مجددا :دعوت لك وليس عليك إن الحب أجمل دعاء ينطق به اللسان، انه المعجزة الكفيلة بأن تبتسمي وتبتسمي كثيرا،

قلت :إنه العبودية لغير الله، وهل يستحق أحد أن نعبده غير الله.

وكيف تعبدينه وأنتِ تحبينه فقط !

قلت : يكفي هذا السحر الذي يشع من عينيك حينما تخبريني عنه، ما اسمه؟

قالت: محمد، اسمه محمد

ضحكت وقلت لها: أقصد السحر وليس محمد !

قالت: إنه السحر.

ابتسمت وكدت اجزم أن صديقتي مجنونة، وأنني لن أؤمن بوما به.

لم أكن أعلم ان تلك الليلة التي سأعرفه بها سينقلب مجرى حياتي للأبد، ولم يكن يعلم بأنني أحمل الكثير من الآلام سأرويها على مسامعه

مرة بل مئات المرات، محادثته من خلال موقع الكتروني، ما بعد صدمة عاطفية أشبه بالضياع، لم أكن أعلم ماذا يريد مني، كنت أنثى عادية غير مبالية، غالبا ما تظهر على وجهي النظرات القاسية.

لكنها كانت ليلة انكشف بها سطح المحيط بعدما انتهت الرغوة من فوقه، أخبرته بأنني ضعيفة واحتاج إلى الأمان، طلبت منه البقاء .

فالآلام تبقى موجعة كثيرا في قلب صاحبها، ما لم يبح بها، لكنني كنت أجهل ما يختبئ خلف ما فعلت، وأن بوحي بألمي سيضاعف وجعي.

كان حنونا عاطفيا رقيقا شفافا، كنت أعشق كلماته . كيف يواسيني دائما، يخفف ألمي، يجعلني أبتسم، أصحبتُ لوحة فنية بين يديه، هو فنان ماهر يستطيع لوحته كيفما يشاء، يسعدني قربه ويقلقني بعده، أخاف الاقتراب ولا أجيد الرحيل، كنت أقولها له :أنت أخي الذي لم تلده أمي .

محادثة أحدهم طوال النهار، رؤيته دائما، والبوح له بجميع الأسرار يجعلنا نتعلق به، ليس طاعة أو ضعف من أنفسنا، لكنه الاعتياد، يأتي

إلينا دون استئذان، فهو لا يجيد الطرق على الأبواب، وعادة ما يختلط مفهوم الحب والاعتياد .

–كان اللقاء الأول بيننا في مقهى يعرض "الكلاسيكو" في العشرين من إكتوبر، كنت حينها (مدريدية) وأنت (برشلوني) التقينا على طاولتين متقابلتين، كان الحماس يملؤنا سويا .

مع بداية المبارة، بدأت أهتف ريال ريال ...

وبدأت تصدح بصوتك أكثر برشا برشا ...

نظرت لي وقلت :"سوف تفوز البرشا،أنتم خاسرون فاخفضي صوتك ".

نظرت إليك بغضب، وقلت :لا، ريال من سيفوز وسنرى ...

وبقينا طوال المبارة نهتف ونصرخ إلى أن انتهت المبارة بفوز الريال،حينها تقدمت نحوي، وقلت لي: أنا مدين لك بكوب من

القهوة، تلك كانت بداية حبنا (الأكتوبريّ) ويا ليت حبنا لم يبدأ .

في ذلك اليوم تأخر الوقت كثيرا وأنا في المقهى، هاتفت أمي لأرى أن كان أبي بالمنزل أم لا، ففي كل مرة أتأخر بها عن البيت يعاتبني كثيرا

قائلا :رهف أنتِ في مجتمع شرقيّ، لستِ في أوروبا، ماذا يقول الجيران!

الجيران والأقارب وأبراج المراقبة تلك، أراهم يتحكمون بنا أكثر من تلك العادات التي قد نسجوها في عقولنا، لم يعاتبني أبي على التأخير يوما لأنه لا يثق بي، أو يخاف عليّ كثيرا، بل كان يخاف كلام الجيران اللذين يتربصون لي بأعينهم وألسنتهم وكأنني أعود سكيرة إلى البيت

أسمع جارتنا تقول :ماذا تفعل بنت عمر لهذا الوقت !

فينظر إليها زوجها ويقول: غداً تكلمي مع أمها لكي تحسن تربيتها ...

أمي الوحيدة التي تعلم بأنني لا أخطئ،هي الوحيدة التي تخاف علي وليس على كلام الناس، تتصل بي كثيرا وتحرجني باهتمامها، لكن أعلم جيدا بأنها تحبني .

"رهف تعالي بسرعة أبوكي معصب "

أخطو إلى البيت بخطوات لا يسمع صوتها أحد، أهاتف أمي وأخبرها : افتحي الباب، فتفتحه أمي وتقوم باحتضاني، أيوجد أحن من ذلك، أيوجد أجمل من قلبها، أحبك أمي ...

فتقول: "فوتي بسرعة أبوكي سأل عنك مليون مرة "

وأقف أمام أبي وكأنني متهمة بقضية قتل ...

"للآن يا رهف، الساعة التاسعة ليلا "

يعاتبني كثيرا، يخبرني عن الجيران،عاداتنا وتقاليدنا أستمع إليه جيدا، أدير ظهري وأذهب إلى غرفتي وكأن شيئا لم يحدث .

أهاتف سيرين أو كما أسميها " مجنونة محمد "

أخبرها ماذا حصل في المقهى، فتبدأ بالتصفير، أنا على يقين بأنني سأرى رهف تحب في هذه الأيام ...

ماذا تزرعين في رأسي أنتِ؟ ألا تعلمين بأن تلك الكلمات تورطني به، قبل أن أحبه، تجعلني أفكر به، أفكر كثيرا، وأتذكر كلماتك، والحب، الحب الذي أهرب منه .

تقول لي :امنحي لقلبك فرصة من الحب، أنه النور ...

–ومنذ متى أصبحت صديقتي أرسطو وتقول حكم ! سأقفل الخط وأحادثك غدا ...

أعلم بأن العاشقين يتبادلون الحب ليلا، وبأن محمد يشتمني كثيرا حينما أحادثها، أعلم بأنه معي سبع دقائق فقط لأخبر صديقتي المقربة بما حصل معي، دون أن تشتمني في سرها، لم أنم ليلتها مبكرا وأنا أفكر كيف سيكون لقاؤنا غدا، وماذا إن نسي الأمر ولم يتصل بي، نمت وأنا ألعب في خصلات شعري، وأمي كالعادة قامت بتغطيتي ليلا، قبلت جبيني ودعت لي وذهبت، ليأتي أبي يقبل جبيني، يهمس لي : " الله يحميكي ويبعد ولاد الحرام عنك "، ويقفل الغرفة بهدوء أكثر ويذهب .

إن أصدق حب في الوجود، العائلة، الأم، الأب، الأخوات والإخوة، لم يكن لدي منهم سوى أمي وأبي،وحيدة مدللة كما يحسدني الجميع، لكن كان ينقصني الكثير، أخ أتحدث معه طويلا عن مغامراتي، أخت أتعارك معها على السرير والأغطية والملابس، حتى تلك المشاجرات التي تحدث بين الأخوة، لكن لم يكن أحد منهم يحيط بي، أبي وأمي كانا يغرقانني بالحب، حب لم أرَ أجمل منه، ولم أعلم سواه بعد .

في اليوم التالي، اتصل بي عمر ليدعوني إلى فنجان قهوة، كان ينتظرني أسفل المنزل، يرتدي معطفا بنيّ اللون وشعره مسرّحٌ للخلف، وحذاؤه

أنيق، كم كانت عيناه البنيتان لامعتين وتلك الذقن الخفيفة على وجهه، وغمازتان تظهران على وجهه حينما يبتسم، بدأت أحدق به، يا له من جذاب وأنظر إلى نفسي، حيث أرتدي ملابس عادية جدا، وشعري معقود ولم أضع أيا من مساحيق التجميل .

ما بكِ تحدقين بي ؟

كوفيتك جميلة

الكوفية هي هويتي، وجزء مني، لن تريني بدونها أبدا

أمّا أنا ...

ما بكِ

لا، لا شيء فقط أتيت بسرعة ولم أستطع أن أحسن مظهري

تبدين جميلة هكذا .

ابتسمت بخجل وشكرته، ذهبنا إلى مقهى فاخر، لم أستطع أن أخفي نظراتي الحائرة إلى المكان، كان يسحرني بكل ما يدور حولي، أنه موعدي الأول مع رجل فاتن، لكنني تظاهرت بعدم الخجل، وحاولت

أن لا أرتبك بالكلام، لطالما كنت أخشى مواعدة الرجال، حذرني أبي دائما منهم وكان يقول لي :إياك أن تثقي برجل ما .نظر إليّ عمر وسألني هل من خطب ما، أجبته بأنني لم أر هذا المقهى من قبل أنه جميل، قال لي:بأنه يحبه كثيرا وسألني هل هذه المرة الأولى التي أزوره به، أجبته نعم لم يسبق وأن قمت بمواعدة شخص، ضحك حينها ،

مواعدة شخص؟أتسمين هذا ميعاد؟

أحمر وجهي من الخجل، لا أقصد أن أجلس أنا ورجل على الطاولة ذاتها .

قال :أتعلمين، أنتِ كالأطفال، بريئة، ولا تستطيعي إخفاء نظراتك الحائرة حينما تنبهرين بشيء ما .

قلت له بصوت غاضب : لست طفلة فعمري الآن عشرون عاما ...

وكأن الضجيج الذي بداخله تمرد ليخرج بقوله : ها كبيرة ....

أنا أكبرك بسبعة أعوام .

في تلك اللحظة شردت كثيرا وأنا أجلس على الطاولة المقابلة له، أنا رهف ذات العشرون عاما تجلس مع رجل يكبرها بسبعة أعوام، وتكاد

تغرم به، وينعتها بالطفلة،لم يخطر في ذهني أبدا بأنني سأكون في هذا الموقف يوما ما، أدركت بأن عمر يشير لي :رهف رهفرهف ماذا تريدين أن تشربي،أجبتهُ :ها أي شيء،ضحك حينها وقال أما زلتِ تفكرين في فارق العمر ...

تجهم وجهي، وابتلعت شفتاي، وقلت : لا لا ....

أريد كوبا من القهوة .

رهف علمتُ مؤخرا أنك تكتبين مقالات وقصص، وأنا يوجد لدي مجلة للنشر هل تقبلين بالعمل معي؟

–نعم أوافق .

–لكن سأعطيكِ أجرا قليلا؛لأنك صديقتي.

–سأعمل دون أجر يكفيني أن أنشر مقالاتي !

–ما أجمل روحك صديقتي

انتهى لقائي الأول، كانت فرصة جيدة لأعلم عن حياته أكثر، وسيئة بالنسبة لي :ليخرج وهو ينعتني بالطفلة !

ما زلت اسأل نفسي عن سحر الوقت الذي يتلاعب بنا في كل مرة، كيف يمرّ الوقت طويلا حينما نكون مع أشخاص نحبهم، وكيف تقف الساعة عند تلك اللحظات التي نتألم بها، أي لغز يقع خلف تلك الدقائق التي تسير وكأنها في عجلة لتخطف منّا اللقاءات الجميلة، ولتقول لنا :لقد انتهى الوقت، وأي منها تسير ببطء شديد حينما نحتاجها بأن تسرع، لتقول لنا :ما زال الوقت مبكرا !

أصبحتُ أعتاد عليه، أعشق نبرة صوته، أحادثه كثيرا، لأول مرة ينتابني ذلك الشعور، الرغبة بالحديث مع شاب كل دقيقة وثانية، لم أعلم معناه قط إلا حينما هاتفت سيرين، أخبرتها بما أشعر، ضحِكتْ حينها وقالت لي : هل تعلقتِ به؟

–ها وماذا يعني التعلق هذا !

–تحبين حديثه،تشتاقين له، يمر أمامك كطيف تلاحقينه دائما دون كلل...

– سيرين أستحلفك بالله لا تخبرينني بأنه حب !

تضحك سيرين بصوت مرتفع :لا ليس حب، لكنه عشق ...

وتقول لي : إن صارحك بحبه بالبداية قولي له لا ...

فاسألها :لماذا؟

فتقول : يتعلقون الرجال بتلك الأنثى التي تقول لهم لا، وهم لا يعلمون بأنها قد قالتها لأنها قد قالت لأخر نعم من قبل ولعله قد خذلها أو لعله ما زال يحتفظ بمكانته في قلبها فلا تريد غيره ولن تقولها مجددا لأحدهم . فيترك اللواتي قد أحببنه بصدق بمجرد أن ترفضهم أنثى، وكأنها تشعل الحب بداخلهم وتثير كبريائهم قليلا

إذا كانت كلمة لا تكفي لأن يحبك رجل بصدق فقوليها دائما عزيزتي ارفضيه ولو كنت تحبينه .أغلفت الهاتف بغضب، لكن أنا لن أحب، أنا لم أخلق لأحب رجل يوما ما سوى والدي، ولطالما قال لي :بأن الحب كتلك الدمية القذرة التي ألقتها أمي بالحاوية لأنها قديمة ومتسخة، وبقائها معي سيجعلني أتسخ، ومنذ ذلك الوقت لم أفكر بها أبدا، فكيف تقول سيرين بأنني أحب .

أمسكت حينها بورقة وكتبت عليها :أنا الموقعة أدناه رهف أقر وأعترف بأنني لن أحب رجل ما حيّيت وفي كل مرة أشعر بأنني سأقع في الحب، سأعاقب نفسي كثيرا وكثيرا، استيقظت حينها وأنا أحمل

الورقة في يدي، وضعتها جانبا، لأتذكر بأنني إنسانة فاشلة لا تصلح لشيء في الحياة، حيث حصلت على درجة متدنية بالجامعة، ولن أجد أحد يخفف عني سوى عمر، في ذلك الوقت اتصلت به مرارا وتكرار، في كل لحظة أشعر بها باليأس أتصل به ليسعدني، كان يجيبني طوال النهار، لكنني حينما اتصلت به في المساء .–ألو ...

ولم أكمل قول كلامي حتى قاطعني، كما يقطع السيف رقبة الضحية دون أن يشعر أي ألم قد سببه له...

وقال لي: رهف أنا مرتبط،والفتاة التي أحبها، لا أريد أن تعلم بأنني أحادثك، أرجوكِ كفاك اتصالا بي.

لم أصدق حينها ما سمعت منه، كانت كلماته قاسية جدا، بدأت أذرف الدموع كشلال لا يقف هديره، أبكي بحرقة مؤلمة واضعة كفي على فمي، أشعر بتسارع نبضات قلبي، والألم يحاصرني، أضع يدي على قلبي، وأشهق كطفلة صغيرة، أحاول إخفاء دمعي، و ليس لديّ مهرب سوى النوم حالا، حاولت النوم كثيرا ، تقلبت عن اليمين وعن الشمال، وضعت وسادتي فوق رأسي، ضربت على قلبي، صرخت بصمت، يا غبية أنسيتِ عهدك البارحة،لكن أنا لا أحبه، فقط أرتاح بالحديث

معه، بقيت طوال الليل محدقة في سطح غرفتي، وأتذكر كلماته فأبكي، نمت بعد صراع طويل مع عقلي، وأنا أتمتم في ذاكرتي، عمر،فقط كنت أريد أخبارك بأنني أسعد الإناث لأنك صديقي، ولن أبكي بعد الآن لأنك بجانبي .

بعد تلك الليلة قررت بأن لا أذهب لمقابلة العمل تلك، حتى لا أرى عمر، وما عادت الرغبة لديّ في نشر مقالاتي في مجلته، لكنه هاتفني بغضب وقال: إن الأطفال وحدهم من يتراجعون عن قراراتهم من أجل حياتهم الخاصة، معك نصف ساعة وأريد رؤيتك في المجلة مع أول قصة لك ...

امتلأت عيني بالدموع حينها وقلت :لا أريد أن أعمل وكفى !

فأرتفع صوته :ستعملين " خاوة "

أقفلتُ الهاتف وأنا أشتمه، يا له من فظ، كيف يحادثني هكذا !

ارتديت ملابسي وتوجهت إلى مجلته تلك، إن أصعب خطوات يخطي بها الإنسان هي تلك التي يسير بها إلى حلم يغلفه الوجع، في كل مرة يريد الخروج منه، سيصطدم بغلاف قسوة من يملك مفتاح أحلامه،

كانت قدماي تخونانني كثيرا، فأرى أحداهن تتقدم والأخرى تتأخر رجوعا، ودموعي تنهار وسط صخب الشارع ومن به، إلى أن استيقظت على مزمار سيارة ورجل يصرخ بي :"شو مش شايفة قدامك انتِ ؟"

لم أعتذر منه، واصلت سيري للمجلة، ما أن وصلت، حتى رأيت إحدى الموظفات هناك ترحب بي :

أيوجد عندك مقابلة مع عمر؟

أجبتها بصوت خافت : نعم

–ولم الخوف؟

–لا لا لست خائفة متعبة قليلا وفقط ...

نظرت إليّ حينها وأخبرتني، إن مدير مجلتنا رجل قاسي،لن يقبل بأن ينشر شيء دون المستوى، إن كانت كلماتك لا تستحق، سيكون الأفضل بأن لا تحاولي معه ..

نظرتُ إليها بغضب وقلت :لعل كلماتك لا تستحق !

أدارت ظهرها لي، هاتفت عمر لتخبره بأنني أنتظره ...

طرقت باب مكتبه، واستأذنت للدخول، كان تفوهي بأول كلمة، أشبه بالكلمة الأخيرة التي بتفوه بها الإنسان عندما تفصل الروح عن الجسد، ونطق آخر الكلمات، بدأت دموع عيناي تذرفان، لكنني أخذت نفسا عميقا، مسحت دموعي، ونظرت إليه، كان يرتدي لباسا رسميا، لم يكن الشخص الذي التقيت به في المقهى، يختلف تماما عن حالته تلك، يبدو أكثر جدية وأناقة، كان من أولئك الرجال من يفصلون العمل عن حياتهم الخاصة، حتى في لباسهم وتصرفاتهم، تقدمت نحوه وقلت :صباح الخير ...

أجابني (وهو ينظر لأوراقه): صباح النور ولم يرفع نظره لي حينها .. وقفت مقابله أحدق به ...

قال :أين المقالة ؟

تقدمت نحوه قائلة :تفضل ها هي ...

أجابني ببرود :"سألقي نظرة عليها، وسأجيبك عمّا قريب ." شكرته وقلت، وأنا أتمتم "يا له من بارد كم أكرهه ! ".

حينما خرجت التقيت بالغليظة تلك، جلست مقابلها أنتظر رد عمر على المقالة، كانت تنظر لي باستهزاء، وكأنها تسخر من قدراتي، لكنني تمالكت أعصابي وغرقت في صورته المعلقة على الحائط.

في تمام الساعة الثانية بعد الظهر، قام باستدعائي إلى مكتبه، قال لي وهو ينظر للقصة :"رهف، أنا لا أستطيع أن أنشر قصتك ؛لأنها جريئة جدا، وحياتك مليئة بالمشاكل، وأنا لا أريد أن تزيد الأمور سوءا عليك، أعتذر عن نشرها، أجبته بصوت مرتفع : أي جرأة هذه، وأي كلمات لم تعجبك ؟ ألم يعجبك قولي عندما وصفت فقد أخ صديقتي في الحرب، أو لعلها الجرأة في أنني أعيش ثرثارة في وطن صامت، رفع عيناه عن المقالة وركز نظره نحوي، وقال : رهف باختصار لن أنشرها، حياتك مليئة بالآلام، أخاف عليكِ.

شردتُ في ذلك الحين، وهو يتكلم، لم أكن أسمع ما يقول .

قد تكون أفعال بعضهم عادية بالنسبة لهم، لكنها مؤلمة بحق غيرهم، قد يعجزون عن إيصال مفهوم بشكل جيد، فيوقعون من يتكلمون معهم في حيرة من أمرهم، قد يصبحون مبعثرين، ما بين كلماتٍ يريدون فهمها بشكل صحيح، وكلماتٍ قُصدت بأن تفهم بشكل خاطئ .

–رهف، أنا أتكلم معك، أين شردتِ ؟ ألا تسمعين ما أقوله ؟

–أجبته :ها ! ماذا تقول ؟ :آسفة لقد شرد ذهني قليلا ...

قلت لك :إنني سأحاول أن أعدل عليها شيئا، ثم أقوم بنشرها ما رأيك

حسنا لا بأس، وانصرفت .يا إلهي، لماذا صرخت في وجهه، لن يقتنع أبدا بأنني لست طفلة، فذاك تصرف طفولي ! كم أنا غبية، لماذا تصرفتُ هكذا .ماذا لو عدت واعتذرت له ؟ لا إن اعتذرت سيقول أنني ضعيفة، وأتراجع عن مواقفي بسرعة .الذهاب إلى البيت أفضل لي .

البشر غرباء، يقعون في حب الغموض، يعشقون الإبحار في الظلمات ؛ليكتشفوا المزيد من الأسرار والآلام، مع أنهم يعلمون كل العلم أن الظلمات قد تؤدي بهم إلى الهلاك الأبديّ.

الحب ليس خطيئة .الخطيئة : هي من نختار وعلى أي أسس قد اخترناه، الحب ليس نسجاً من قصص الخيال، وليس وقفا على الكبار

فقط ولا حتى الصغار، الحب هو ذلك الإحساس الذي يولد مع طفل قدم إلى الحياة ؛ليقع أول مرة في قصة عشق مع أمّه.

الفصل الثاني " ليست يافا، ولا حيفا، إنها فلسطين ومن ثم غزة "

ما إن نضع أقدامنا على بداية تحقيق أحلامنا، حتى تغدو كبالونات نحلق بها، لكننا نخاف دوما من أن تنفجر في السماء، ونعود .. ليس للبداية وحسب، بل رماداً يتناثر في الهواء .

كنت أنتظر نشر المقالة الأولى على أحر من جمر، إنها البالونات التي أريد أن أحلق بها إلى قلب كل من يقرأها، ولا أملك الجرأة لكي أسأل عمر إن كان سينشرها أم لا، انتظرتُ خمسة أيام، و في اليوم السادس، كُنت أحتسي كوباً من القهوة كعادتي، وأتصفح مجلة الروح التي أنشر فيها، وفي أثناء ذلك، وجدت قصتي القصيرة في الصفحة الأولى من المجلة التي تحوي هذه الكلمات كانت قصتي القصيرة بعنوان:

(إلى اللقاء يا أخي).

إلى اللقاء يا أخي

عندما يسلب الموت أجزاءً من أنفسنا، وعندما يقبض أرواحنا، نتساءل ونتمنى لو تعود اللحظة لنعيشها سويا، كم كان خبر حمل والدتي يزعجني في ذلك الوقت، كنت منهكة في دراستي في البكالوريوس، وأيضاً أنا المدللة عند أهلي وخبر قدومك إلى هذه الحياة يعني أشغال إضافية، يعني أنّني لن أكون

مدللتهما بعد اليوم. في ذلك الوقت عندما اتصلت أمي بي، وأخبرتني بأنها حامل شعرت بالغضب .

ماذا يا أمي أنت حامل ؟! وفي هذه الظروف ؟ وأنا من سيعتني بي ؟ عتبت كثيرا عليها .

ومرت الأيام سريعة، حتى اتصل والدي بي. مرحبا سارة ، والدتك قد أنجبت اليوم. أجبته : الحمد لله على سلامتها ، وبدأت الغيرة تشتعل في قلبي كان الكل يجلس من حولك، ويبتسمون لك، وسعادة تغمر قلب أمي وأبي . قالت لي أمي : اقتربي وقومي بحمل محمد ... اقتربت، وعندما حملتك لأول مرة، أحسست بشعور غريب أبهج

قلبي، وكأنك أصبحت قطعة من روحي، ذهب كل الغضب الذي كان يحيط بي، وابتسمت كثيرا لك كنت صغيراً جدا، لكنني كنت أول من ابتسمت له ا، كم كنت سعيدة حينها ،أصبحت أقفز كالطفلة –أم ي، أمي، محمد ابتسم لي. سعادة غمرت قلبي وأبهجت روحي، ومن ذ تلك اللحظة لم أعد أقوى على فراقك لحظة . أتذكر جيدا ذلك اليوم الذي عدت فيه إلى المنزل متأخرا. وجدتك تبكي على الباب . وتقول لي ببراءة : "سالة ذبتيلي حويات". قلت لك : قل: سارة، وسأعطيك الحلويات . وعدتها كثيرا ، وأنت تقول : "سالة سالة ... " وفي النهاية، غلبك الأمر، ونطقت اسمي:(سارة). قمت بحملك وتقبيلك كثيرا، وأصبحت أدور بك في المنزل، وضحكتك الساحرة تعم أرجاء المكان . في الثاني من شهر يناير، كنت حينها منهكة بسبب الجامعة كثيرا وعندما وصلت البيت وجدتك تعبث بأغراضي ، وكتبي ملقاة على الأرض، فصرخت عليك وضربتك قليلا. أصبحت تبكي كثيرا وتصرخ، لكنني أغلقت باب غرفتي ولم أنصت لبكائك . وبعد فترة خرجت من الغرفة، وقمت بلحتضانك فقلت:أحبك يا سالة. قلت لك :"عدنا يا محمد سالة ... ". اسمي (سارة). قلت لي : "سارة

حبيبتي". حينها غمرتك بفرح كبير قائلةً : وأنت روحي وعمري وحياتي كم كنت طفلا وسيما، عيناك الزرقاوان، وشعرك الذهبي، وأناملك الصغيرة،وكل شيء كان فيك جميلا، كنت تدخل إلى قلب أي أحد يراك، ويحبك جميع من حولك بشغبك ولعبك، وحتى ببكائك . في ذلك الوقت، وعندما وقعت أحداث غزة وبدأت الحرب، استيقظنا على صوت قنابل العدو، كنت مرعوبة جدا، وأنت كلما سمعتَ صوت قنبلة، ركضت إلي باكيا خائفا، لكننا كنا قد اعتدنا على هذه الأصوات، أما أنت، فكل مرة كنت تصرخ وتبكي ذعرا ... في الثالث من يناير عام( ) قام العدو بقصف المنزل المجاور لنا، كانت أول مرة يسمع محمد صوت القصف، تعبيرات وجهه غريبة، يبكي ويصرخ لكن برعب أكبر .

في صباح الثامن من يناير عام( )استيقظنا مرعوبين على صوت صاروخ قد أصاب منزلنا، ركضت إلى غرفة أمي وأبي . . .

-محمد! هل هو بخير؟ كنت حينها نائما، وكأن شيئا لم يحدث، فلطم أن قلبي أبي، أين سامر ...؟

-لقد خرج ليشتري الخبر.

-ماذا؟

وأصبحنا نحاول الاتصال بسامر ... لكن ، لا يوجد شبكة أصابنا الرعب، وظننا أن مكروه ا قد حدث له، وأصبحت أمي تبكي بحرقة، وتقول: "ضاع الولد".

يتبع في العدد التالي .

كم كنت سعيدة لنشر مقالتي،لكنني تألمت كثيرا لحذف مقاطعها الجريئة، وكان يتوجب علي أن أتصل وأقوم بشكره على نشر أول مقالة لي، حادثته وشكرته ...

قال لي :أنا أسف على ما حدث تلك الليلة كنت متعبا للغاية، ولا أعي ما أقول...

–لا بأس يا صديقي، وأقفلتُ الهاتف.

مكالمة هاتفية لصديق يشعر بالأمان، أو أخ قريب، أو حبيب يجعل ذلك النهار بأكمله جميلا ،كتلك الشمس التي تظهر بعد ليلة عاصفة، وتملأ السماء بقوس قزح المليء بالألوان، والذي ينشر السعادة في كل مكان.

في اليوم التالي، استلمت باقة زهور كبيرة من أحدهم، أمسكت هاتفي المحمول، واتصلت فورا على عمر لأشكره على الزهور ،لكنه أجابني متعجبا ..

رهف :أنا لم أرسل لكِ شيئا.

قلت :لكن، من أرسل هذه الباقة لي ؟!

قال :قد يكون أحد المعجبين السريين ، أووووه ذاع صيتك بعد أول مقالة.

-(بلا مزح شو معجب ما معجب سري، ما حدا بعرف عنوان بيتي)

قال لي بسخرية : (أه ليش لأ ؟... والله ذاع صيتك، وصار عندك معجبين).

وتحدثنا طويلاً ...

كانت كلماتك تملؤها الغيرة، كنت أشعر بتغير نبرة صوتك، كلما قلت لك :لديّ معجب سريّ .

لم أصدق حينها قصة المعجب السري، وكنت على قناعة تام ة أن تلك الزهور الجميلة هي ذوق منك، أصبحت أستقبل باقة الزهور كل يوم في نفس الموعد، مع بطاقة كُتب عليها :"أن أكون لكِ ، أفضل من أن تكونِي لي) .

لم أكن أفهم، ماذا يقصد المرسل من هذه الكلمات؟ لكن ما زال يراودني الشك، أن تلك الباقات من عمر.

لم أكن فتاة تحب الزهور يوما، لم أتمناها وأشتهيها كباقي الفتيات، غالبا كنت أحب الاستمتاع بالنظر إليها وهي في مكانها الصحيح – التربة–،لعلني لم أشأ ليوم أن أسلب شيئا لا أستحقه، كنت أرى الورود التي تُهدى اغتصابا للأرض، وأنَ الأرض هيَ الأم التي لا تقبل بأن تتلوث ابنتها بأيدي البعض باسم الحب أو المرض أو التهنئة أو الزواج .

من هذا الذي يرسل لي الزهور كل يوم، أيدرك هو أنني لا أحبها، أم أنه لا يعلمني جيدا، أو يريد أن أقيم علاقة جيدة معها، لن أنكر بأنني أصبحت أعتاد على تلك الباقات، لكن في كل مرة أضعها في مزهرية على الطاولة تأتي أمي وتسألني :من يهدي صغيرتي هذه الورود، فأجيبها : معجب سريّ وأضحك ...

فتبكي أمي : (كبرتي يا بنتي وصار عندك معجبين ..)

أحتضن أمي وأقول بيني وبين نفسي:ابنتك لا تريد إلا شخصا،لكنه لا يشعر بها!

في الثاني عشر من تشرين الأول، في الساعة السادسة والنصف صباحاً، استيقظتُ على صوت هاتفي المحمول .

-ألو...

أجابني صوتٌ غريب :أسف على إزعاجك، لكن...

لم يكمل حديثه حتى انقطع خط الهاتف، عددت مكالمته عشوائية، وأنه ليس سوى إزعاج، وأكملت نومي لكنني لم أستطع النوم حينها ، كنت أفكر من هذا ؟ولمَ قام بالاتصال بي ؟أيعقل أنه الشخص نفسه الذي يرسل الزهور ؟ أيعقل أن الزهور ليست من عمر ؟أسئلة كثيرة تمتمتها وحيدة في تلك الساعة (الساعة الثامنة والنصف)، وأنا لا زلت مستيقظة، لكن ليس لي سوى أن أكلم عمر، قلت له : إن أحدهم حادثني هذا الصباح، لكنّه لم يقل سوى : أسفٌ على إزعاجك، لكن ... وأقفل الخط. أجابني :جيد جداً، ها هو المعجب السريّ علم رقمك، ابتسمي ... ها هو أحدهم معجب بك.

كانت كلماتك غريبة، تزعج الأنثى في داخلي، وتوقظ كبريائي قليلاً:

- (أحدهم معجب بك) ؟! ماذا تقصد يا عمر ؟ومن قال لك أنه لم يعجب بي أحدهم من قبل ؟!

هل غرورك سمح لك بأن تفكر بأنك الرجل الوحيد في هذا العالم ؟ ماذا تقصد من كلامك؟!

أجابني :أنا أمازحك لما أنت غاضبة .. .

قلت: حسنا–بصوت غاضب –وأقفلت الهاتف

"كوني جميلة لكي يتورط بك ...."

كلمات قرأتها لأحدهم يوما ما، يقول فيها أن الرجال لا يعشقون سوى الفتيات الجميلات وأنهم عادة ما يعشقون مظهرها قبل داخلها، فقال : تبرجي وضعي الكثير من المساحيق لتفتنينا، وبعد ذلك وصف حالته بأنه ضائع، وأن الرجال يخافون الجميلات، أتاني فضول لأكلمه ماذا قصد في كلماته تلك ... أجابني بكل وضوح : إن الرجل يعشق اهتمام المرأة بنفسها، ولا يذهب لأخرى إلا حينما يرى أحداهن أجمل بكثير...

قلت له : وماذا عن جمال الروح، أيعقل أن فتاة الباربي دون عقلها تكفي أن تكون زوجة صالحة ...

أجابني : وماذا إن كانت جميلة وصالحة !

أجبته: لا يوجد شيء كامل في هذه الحياة، وجمال الأشياء في نقصها !

وانتهى حوارنا بأنني اعتبرته ساذجا وفقط !

ولعل عمر ساذج مثله، وماذا لو وضعت القليل من مساحيق التجميل، وارتديت ملابس أنثوية، وذهبت لعملي أنيقة، كيف تشعر الفتيات حينما يغازلها شاب في الشارع، هذا الشعور الذي لم أشعره إلا مرة لم أكن أعلم بأن الشباب يقفون على الأرصفة ليغازلوا أي فتاة تأتي أمامهم عدايَ أنا ! هل أنا قبيحة، أم مظهري القاسي يبعدهم عني ... !

أتذكر أنه في مرة قام أحد بمغازلتي في الشارع، قالها لي : "اممم شو طيبة "

نظرت إليه باستحقار وقلت :"أختك الطيبة "

أصبح سخرية لأصدقائه حينها، نظر إلي نظرة حقد، لعله لم يتوقع هذا الرد من فتاة مثلي، لكن أردت أن

أعلمه أنني أقوى من الطيبة التي قالها لي حينها !

ما زالت تلك الأسئلة تراود في ذهني من قال للرجال بأن النساء بحاجة لكلماتهم السخيفة ليزددن ثقة بأنفسهن، ولمَ يقفون لمغازلة الفتيات، لو يدركون بأن كل أنثى تقف مقابل مرآتها كل صباح

وتقول لنفسها :صباح الخير أيتها الجميلة، لأنها وحدها تعلم بأن بداخلها جمال لا يوجد بأخرى وحتى لو نعتها الكثيرون بالقبيحة، لو يدركون الرجال جيدا، لابتعدوا عن أرصفة الطريق واكتفوا بغزلهم في بيوتهم لنسائهم اللواتي اشتقن لكلمة جميلة منهم .

ارتديت ملابسي، وتوجهت إلى عملي، كنت أحاول أن أظهر بصورة أجمل من قبل، كلماته أثارت الشكوك، لعله يراني قبيحة لعله لا يراني أصلا، كنت غير مبالية سابقا، أرتدي ما أراه أمامي دون تنسيق، لم يكن لديّ أي نية بـأن أُوقع شاباً في سحر جمالي، وأجعله أسيرا لقلبي، وصلتُ إلى عملي، كُنت أرى نفسي غريبة، فأنا لم أعتد على وضع مساحيق التجميل، ولم أرتد يوما ملابس كهذه في العمل، كنت أبدو أنيقة، ودخلت إلى مكتبي فسمعت صوت صفارة من إحدى زميلاتي في العمل، وقلن لي : رهف، تبدين رائعة اليوم...

ابتسمت حينها بخجل وقلت :شكرا لكُنّ...

أود الذهاب بسرعة إلى مكتب عمر، لأريهُ أنني جميلة، لعله يكترث لأمري قليلاً، وبينما كنت أفكر في ذلك، طلبني إلى مكتبه، وأخبرني أنه يريد محادثتي، فتوجهتُ إليه، كنت أنتظر ردة فع له،لكنه كان باردا جداً، حتى أنه لم يكترث بأنني قد أبدلت مظهري ...

قال لي :رهف، أريد منك الجزء الثاني من المقالة لكي ننشره في العدد الآتي .

أجبته :حسنا ، سأنهيه هذه الليلة، وسأرسله إليك عبر البريد الإلكتروني

حسنا ...

لكنني بقيت واقفة ومحدقة به .. .

–رهف، أتريدين شيئا ما ...

–لا، شكراً ...

طرقت الباب بصوت مرتفع، يا إلهي حتى أنه لا يراني !

كم أكرهه !

عندما عُدت إلى مكتبي، سألتني رفيقتي المقربة (سلمى) : رهف، ماذا قال لكِ؟

لم يقل شيئا... كأنه لم يرني.

لا تحزني يا صديقتي، سيراكِ يوما ما، هو الخاسر.

قالت سلمى لي : رهف، ألا تريدين أن تكملي القصة لي، أتشوق كثيرا؛ لمعرفة ماذا

حدث ؟

قلت : انتظري ؛ لتنشر في العدد الآتي .

رهف، أرجوك . . .

حسنا صديقتي، أنصتي إلى التكملة . . .

(إلى اللقاء يا أخي –الجزء الثاني–)

لكن ما هي سوى لحظات، حتى قدم سامر، وقال ما الذي حدث ؟

ركضت أمي اتجاهه وقامت باحتضانه ...

–الحمد لله، الجميع بخير..العدو قصف جزءا من منزلنا، وأصبح هذا المنزل خطرا

علينا ؛ فلننتقل لنسكن في بيت جدكم.

ذهب أبي إلى الغرفة ؛ليأخذ محمد معنا، لكن كانت يد محمد باردة، ولا توجد ردة فعل منه، ورغم كل الأصوات، إلا أنه لم يستيقظ .

بينما كان أبي يسير بنا، رأيت دما علي يده .

قلت له : أبي يوجد دم على يدك !

–ماذا يا بنيتي؟

وإذا بمحمد ينزف دما ...

أخذه أبي مسرعا إلى المستشفى، ولم يسمح لي بالذهاب معهما.

كنت أبكي وأبكي وأبكي . . . أمي هل سيكون بخير؟

تجيبني أمي :نعم يا صغيرتي، لا تقلقي.

وبعد خمس ساعات قدم أبي إلى المنزل، وفي يده محمد لكنه ملفوف بقطعة قماش بيضاء.

ركضت بلتجاه أبي.

وقلت له : أبي هكذا سيختنق، قم بإزالة الغطاء عنه ...

قام باحتضاني حينها، ووجهه شاحب والدموع في عينه ...

-محمد أصبح طيرا في الجنة ...

لم أعِ حينها ما قاله سامر، ولم أستيقظ إلا عندما سمعت صراخ أمي ... وبدأ الجميع بالبكاء في المنزل.

كانت ردة فعلي باردة، لم أصدق أنك قد فارقت الحياة، فأنت كنت دائما الحياة بالنسبة لي، أمل جديد ولد في عالمي، فكيف سترحل وتبقيني وحيدة ؟!

لم أكلم أحد لمدة طويلة، ولم أشتهِ الطعام، ولم أفعل شيئا سوى النظر إلى صورتك يا أخي.

أنا آسفة يا أخي لضربك في ذلك الوقت، أرجوك تعال واعبث بأغراضي كيفما شئت .

من سينتظرني كل يوم على الباب، لأحضر له الحلوى، م ن سيقوم باحتضاني، ويقول لي : أحبك يا(سالة).

(سالة) مِن مَن سأسمعها الآن ؟

من سيحدق بي فترات طويلة، ويضربني بيديه الصغيرتين ويقول لي: قومي لنلعب ...

من سيفسد دفاتري الجامعية، ويرسم عليها ...

تعال يا حبيبي، وأعدك بأنني لن أصرخ عليك إن أفسدتها

تعال يا حبيبي وأفسدني أنا، أفسد كل شيء تريده ...

أرجوك يا أخي ..عد لي، فأمي بعدك لا تشتهي الحياة، وأبي بجبروته ضعيف الآن ،والمنزل من بعدك يفتقده الضجيج، وبع مّ ه الصمت في كل مكان.

أخي من أتى إلى هذه الحياة ؛ليرسم لي ولعائلتي أملا جديد، أت ى بفرحة لأعيننا، ودمعة في عينيه ...

كبر بيننا، كالزهرة التي نسقيها آملين أن نراه أجمل ما يكون.

وكم كانت كلماته جميلة حينها (سالة، ماما، بابا)

لقد فارق الحياة بدمعة في أعيننا، وابتسامة في وجه ه ...

هنيئا لك يا أخي الجنة، فشظية من عدو أسكتت روحك إلى الأبد، لم يقو جسدك الضعيف على تحملها، لم تقو على الصّراع من أجل هذه الحياة، وكأنك كنت تعلم أنه ا

صعبة وكثيرة اله موم ...

لكنك يا أخي رحلت مبكرا جدا، رحلت، وأنت لم تعلم بعد الفرق بين الخير والشر،وما بين الألم والفرحة، رحلت مبكرا يا أخي .

الحياة في وطني صعبة جدا، فعندما يولد أحدهم ، نودعه قبل خروجه إلى هذه الدنيا.

ففي وطني يموت الجنين شهيدا في بطن أمه، وفي وطني يسلب الموت فرحة العروس ليلة فرحها، فيأخذ عريسها طيرا إلى الجنة ...

وفي وطني نسمع صوت الزغاريد تعم المكان ؛ ليزف شهيد إلى قبره ...

في وطني شعب " الاحتلال" لا يستحق الحياة، على أرض تستحق البقاء

في وطني ننام ولا نعلم أنستيقظ غدا أم لا ؟

كان رحيلك يا أخي الألم لي، كان انكساري وضعفي، كان بدايتي مع واقعي، فمن لم

يذق طعم الفقدان، لن يعلم بشعوري يا أخي .

سلبوا مني ضحكتك، وبراءتك ..حتى أحلامك التي لم تخلق بعد..

سلبك الموت والقضاء والقدر الذي لا حيلة لي فيه.

الحمد الله على كل شيء ...

لكن،ليتني كنت أنا من فارقت الحياة، فحياتي بعدك ينقصها الكثير.

وحتى أنها بلا معنى ...

حياتي بعدك قصة أرويها للكثير، وأحمل على عاتقي إيصال القصة للجميع .

حياتي بعدك ليست حياة ... لكنها موت بنكهة الحياة.

وها أنا اليوم أحفظ عهدي لك يا صديقتي، ها أنا أوصل حكايتك للعالم بأسره .

–رهف، أبكتني حقا هذه المقالة الرائعة، فيها الكثير من الإحساس، والآلام التي

يعاني منها شعبنا، أبدعت صديقتي.

شكرتها كثيرا، وقلت : هذا وجعي ووجع كل فلسطينيّ على هذه الأرض،ففي فلسطين هناك مقعد أو مقعدان فارغ ان دائما على طاولة

الطعام، لأسير أو شهيد، وهناك أحد نفتقده دائما، ويبقى عالقا في ذاكرتنا

قالت: معك حق، فأن تكون فلسطينيّ ا، يعني أنك ستواجه الصعاب، وأنك ستتألم دائما، مع بسمة الفراق.

وختمت حينها القصة بهذه العبارة : كيفما تغتصب طفلة لا يهم عدد السنين التي قد قطعتها لكن ما يهم هو أنها قُدمت لرجل بعمر والدها على طبق من ذهب، يأخذها إلى بيته المليء بالدمى، ويبدأ معها لعبته تلك، ليسلب أنوثة لم تظهر بعد بها، تشعر بالرعب وتبكي كثيرا، ما الذي فعله هذا الذي ينتمي لعالم الكبار، تعود إلى بيت أهلها مكسورة وضعيفة، تكبر تلك الطفلة، وما زالت تنظر لذاك المدعو بالزوج، كالغاصب، وما زالت تظن بأن كل شيء سيحدث هو مجرد لعبة، حينما تموت تلك الطفلة، سيقف الجميع ويوجهون أصابع اتهاماتهم لذلك الرجل، لكن من اغتصب الطفولة، من سلب أحلامها، من قام بصفقة البيع تلك، يبقى السؤال المغتصب حقا هو الرجل الكبير الذي دفع ثمن هذه الصفقة أم الأهل من قاموا ببيعها وهكذا اغتصب وطني.

من السعادة هيّ أن فلسطين لا تُحكى، لا تروى ولا ترسم، هي كذلك العطر الذي لا تجيد وصفه في كلمات، ما إن تشتم رائحته حتى تقول هذا عطري !

من أجمل القصص التي قد سمعتها وهي أغنية " ظريف الطول "، وجدت بها جمالا، وعبرة، وكلمات تصف هذا الوطن ...

(يا ظريف الطول ميل لقلك رايح عالغربة وبلادك أحسنلك...)

كنت حينها أستمع لقصة ظريف الطول، بصوت محمود اقنيبي .إن مثل هذه القصص يجب أن تمجد وتطول كثيرا، يجب أن تصل لكل فلسطينيّ على هذه الأرض، كم تشوقت لسماعها وكررتها دون أي كلل عشرين مرة، أخبرنا بالقصة، ظريف الطول هو نجار،أطلق عليه هذه الاسم من طوله،تحبه جميع نساء القرية، لم يهتم لأي منهنّ،والكل يتعجب أين يذهب ظريف الطول بماله الذي يجمعه من عمله .في يوم هجم المستوطنون على البلد، قتلوا وحرقوا فيها، اختفى بعدها ظريف الطول، وعاد معه أسلحة قام بتوزيعيها على الرجال .وفي المرة الثانية، قامت معركة شرسة بينهم وبين قطعان المستوطنين، خسروا الكثير من الأبطال، لكن خسارة المستوطنين كانت أكثر بكثير، حينها انتشرت

أغنية (يا عربي يا ابن المئرودة بيع أمك واشتري بارودة) انتهت المعركة واختفى ظريف الطول آنذاك،لقد أشعل أهل القرية النيران وبدؤوا يبحثون عنه في كل مكان، ومرت الأيام وأصبح ظريف الطول أغنية أولاد القرية، وأقسم الحلاق بأنه شاهد ظريف الطول مع عز الدين القسام في أحراش يعبد، وعمر ابن الأرملة شاهده مع الثوار في يافا، وكثير من الناس أقسموا بأنهم شاهدوه في الكرامة على نهر الأردن يفجر دبابة بعدما قطعت النهر، ولكن آخر مرة شاهدوه فيها كانت في غزة، حيث خرج من النفق، وضرب صواريخ وقام بتوجهيها إلى تل الربيع المهوّدة باسمِ تلّ أبيب،ومن ثمّ عاد للخندق .

ظريف الطول هو كل مقاوم، وكل فلسطيني، ويداه أيّ يدينِ قابضتينِ على الزناد !

(–ظريف الطول ما بموت ؟

–"ليش هو في فلسطيني بيموت !").

كانت قصّة ظريف الطّول من أكثر القصص التي تركت جرحا عميقا في نفسي، كل فلسطيني على هذه الأرض هو ظريف الطول، يستطيع أن يحمل سلاحه، ويتقدم ولا يهاب الموت، فإنّه لم يكتب الموت إلا

للجبناء ! وفي حين يموت النّاس بلا قضية وتتعفن رائحة جثثهم الهامدة بدون كرامة يستشهد الفلسطينيّ وتنبعث رائحة الورد منه، فاخرج وقاوم، ولا تقبل أن تموت على هذه الأرض كما يموت الجميع في فلسطين نموت نحن وتحيا الأرض، وفي فلسطين ثلج أحمر، يهطل ويختلط بدماء شهدائنا، فينسج لوحة لن يستطيع رسمها أي فنان !

في فلسطين، قلب وروح وأم باكية، ومهجرون يتمنون العودة للوطن، وفيها كل شيء، من بيارات البرتقال في يافا، إلى عنب الخليل، وموز أريحا، والمسجد الأقصى في القدس .المسافة قريبة جدا إلى الأقصى! لا يبعدنا عنها سوى سلاح ومساخيطَ يقفون على حاجز، لا يسمحون لنا بالعبور إلا إن كنّا نحمل تصريحاً قام بتقديمه لنا غاصبٌ لا حقّ له في هذه الأرض !.

الفصل الثالث "خيانة أنثى" .

مرت الأيام بيننا، وأصبحت و عمر نقترب أكثر، ونثرثر كثيرا، ونضحك، ونتبادل حكاياتنا .وأصبحت أمي تخاف علي كثيرا، لعلها أدركت بأنني أحادث أحدهم وأنّي متعلقةٌ به، فتجلس بجانبي كصديقتي، وتسألني :من عمر، أجيبها رئيسي في العمل ...

تقول لي :فقط رئيسك !

–وابن عمي . (وأبتسم ...)

–صغيرتي إياك والوقوع بالحب، لن تخرجي من حفرته أبدا ...

أنظرُ إليها وأقول : حسنا حسنا، أحبك أمي ..

الكل يحذرني من الحب، يريدونني أن ابتعد عنه قبل ملامسته، ولا يعلمون أنه حتى الطفل الصغير حينما تحذره من شيء يركض إليه ليقوم بتجربته ! فكيف وإن كنت أنا، وأنا فتاة تريد أن تخوض كل شيء، ففتاة مثلي تعشق الحروب والمغامرات .لم أكن أعلم بأن هذه الحرب بها خسارة أبديّة، كنت أظنها مؤقتة لبضع أيام وفقط .

كنت أتصفح حسابي الفيسبوكيّ، لا شيء جديد، صديقتي ما زالت تنقم هذه الحياة، وسيرين ما زالت تنزل أشعاراً مهداة إلى محمد .

-إنّه عالم ممل، ماذا لو دخلت إلى صفحة عمر ورأيت ما به، فقد كانت منشوراته حزينة جدا، فقد رأيت أحدهم وهو يلعن الفتيات، ويلعن حبيبته .... وما هي سوى

لحظات حتى قام بالاتصال بي !

-ألو، رهف.. .

-آه عمر، ما بك ؟ لم صوتك هكذا؟

-لا شيء.

-عمر أنا أعرفك جيداً، ما بك؟

-حبيبتي انفصلت عني ...

-ماذا تقول ؟! لم تركتك ؟

-هل يمكنني أن ألتقي بك؟

-أكيد ... سنلتقي في المقهى الذي التقينا به أول مرة ...

لم أكن أعلم شعوري في تلك اللحظة، هل كان يجب علي أن أحزن حقا عليك ؟ وعلى صوتك الذي آذاني ؟! أم كان يجب علي أن افرح لأنك الآن ح ر ولا يوجد أنثى تبعدك عني ؟!

ارتديت ثيابي بسرعة، ولم أتأخر عليك ولو لثانية كي أسمع حديثك، وأحاول تخ فيف ألمك كما خففت آلامي طويلا .كانت ملامح وجهك كئيبة حزينة، ولم تكن الرجل الصارم الذي عرفته .أيعقل أن الرجل ينهار عندما يخسر حبيبته؟!

لم أشأ ولو لمرة واحدة في حياتي، أن آخذ شيئاً ليس ملكي، أو أن أنظر إلى شيء بجواري وهو لآخر .في كل مرة كنت أريد شيئاً أذهب باكية لأبي، ولست أعلم ما قصة الدموع معي ! لكنني اعتدت أن أمارسها في كل مرة أريد أي شيء، إلا الآن أنا لا أمارس حفلات الدموع تلك، ويجب عليّ أن أبتسم كثيرا وكثيرا لأجل فراقكما .

–عمر، ما الذي حصل ...

–نظرت لي بحزن وقلت لقد خسرتها، انتهى كل شيء ..

–عمر، أرجوك هدئ من روعك وأخبرني كل شيء

-خانتني يا رهف، خانتني !

-ها !بهذه البساطة ؟! لعلها غاضبة ! هل أزعجتها بشيء ...؟

-خائنة وحقيرة !

تحدثت طويلا معك،أخبرتك أنّه لا يجب أن تحزن على من يذهب فهو الخاسر،وأخبرتك بأنه يجب عليك أن تكون أقوى من ذلك وأ لا تنهار .لقد حاولت تخفيف ألمك لكنك كنت حزينا للغاية .

قلت لك : أنا سأوصلك إلى بيتك، لن أسمح لك بأن تقود السيارة وأنت في هذه الحالة...

قلت لي : أنا بخير، لقد تأخر الوقت، ستقلق عمتي عليكِ...

-لا بأس، سأتصل وأخبرها بأنني سأتأخر قليلا ...

الو.. أمي، أنا سأتأخر قليلا .

-لماذا !

-أمي،صديقتي متعبة، وأريد أن أبقى بجانبها .

-حسنا رهف، لكن عودي قبل أن يأتي أباكِ

-حسنا أمي، أحبك .

وأقفلت الهاتف مع أمي ...

أوصلتك إلى بيتك، فطلبت مني أن أدخل لأحتسي كوب ا من القهوة معك، وأخبرتك بأن الوقت قد تأخر، ويتوجب علي الذهاب،فألححت كثيرا علي لأدخل ..فوافقت .

كان بيتك عبارة عن قصر صغير يجمع ما بين الحاضر والماضي، ومحاط ا بأحجار قديمة، وكأنّه مزيج من رقيّ الحاضر .في مدخل البيت عمود ان منتصبان يعلوهما وجه أسد، وحديقة كبيرة مليئة بزهور من كل الأنواع، وفي جانب الحديقة بيت لكلب صغير ما إن سمعت صوته حتى بدأت بالصراخ، فضحكت حينها، وقلت: أتخافين الكلاب ؟

-أنا أموت رعبا ليس خوفا فقط ! !

-حسنا، سأجعله يأتي ليلقي التحية عليك، وسوف تحبينه.

-عمر، لا لا...أرجوك ! !أنا أخاف الكلاب...

-أمازحك صديقتي .

دخلنا المنزل، كان مليئا بالتماثيل والتحف الفنية، ولوحات فنية معلقة على الجدار،وفي مدخل البيت لوحة فنية لم أستطع فهمها ! كانت عبارة عن خطوط ملونة ممزوجة في بعضها البعض، تعلوها بقعة صفراء، وعلى جانبها طفل صغير يحمل الخبز ويبكي ... نظرتُ إليها متعجبة

-أتحبين اللوحات الفنية؟

-أحبها، لكن لم أفهم هذه اللوحة !.

-إنّها الحياة يا صديقتي ... .

-كيف هذا ؟

-ألا تعلمين أن حياتنا هي تلك الخطوط الممزوجة في بعضها البعض، وفي كل مرة نريد أن نخرج منها إلى النور ؟ نحن كذلك ؛الطفل الصغير الذي يقف جانبا يبكي لأنه لم يحصل سوى على خبزه واحدة فقط !.

-من رسم هذه اللوحة ؟

-صديقي، وقام بإهدائي إياها ...

-جميلة جدا ...

(كان بيتك غير مرتب، كل شيء ملقى على الأرض . . .)

–عمر، لم بيتك غير مرتب هكذا ؟

–أحتاج جميلة؛لتقوم بترتيبه لي ...!

–حسناً، فهمت سأرتبه، وأحضر لي كوبمن القهوة .

–أمازحك يا غبية ...سأرتبه في الصباح.

–اصنع لي القهوة ...ولا تهتم بلأمر.

بدأت بترتيب منزلك، كنت ألعب بأغراضك، ورأيت صور ا كثيرة لحبيبتك، ورأيت رسائل لم توصلها لها بعد مبعثرة على الأرض .

كرهتها يا عمر؛لم هي قاسية معك ؟! لم لا تريدك مع أنك الرجل الذي تتمناه كل الإناث ؟ فجأة أتيت ومعك كوب من القهوة، فوقعت الرسالة من يدي..!

–رهف، أتلعبين في أوراقي ؟!

–لا لا عمر ! فقط كنت أقوم بلملمتها عن الأرض .

–اتركيها وتعالي، لنحتسي القهوة .

–عمر

–كيف عرفتها ؟ ومنذ متى وأنت مغرم بها ...؟

–حسنا عزيزتي سأخبرك كل شيء، واحكمي بنفسك على من يقع اللوم...

كان لقاؤنا ليس كأي عاشقين، كان بخلاف قد حصل بيني وبينها، وبالمساء حادثتها وأكملنا على خلاف...

كانت كلماتنا جارحة ولم أصدق لوهلة بأنني سوف أتعلق بها هكذا ، ومرّت الأيام وأصبحنا نتحدث كثيرا، ونلتقي من الحين للآخر، في يوم قابلتها وصارحتها بأنني أحبها، وبادلتني نفس الشعور، وأصبحنا نتعلق ببعضنا كثيرا ...

دمنا على علاقة قرابة الخمسة أعوام ..أحببتها كثيرا وأحبتني كثيرا، إلى أن علم أهلها بالقصة وبدأت الخلافات بيننا .

وقبل أسبوع قامت بالاتصال بي وأخبرتني بأنها لا تريد أن تحادثني، صرخت بها : لم ولماذا... ماذا فعلت بك؟ أخبرني كيف عرفتها، وما الذي حصل ؟

ولم قامت بالتخلي عنك ؟!

–آه يا رهف ...

أقفلت الهاتف ولم تنصت لي، لقد خانتني يا رهف ..

نظرت إليك باستغراب، وقلت: أنت تلاحق أنثى لا تريدك ! أكاد لا أصدق ...

قلت لي : رهف ماذا... ألا تصدقينَ ما أقول ؟

–لا عمر، لكن أتساءلُ لمَ أنت متمسك به إلى هذا الحد ..

–أحبها يا رهف، لقد دام حبنا خمس سنوات، وليس يوماً أو يومين ألا تشعرينَ بي؟

–آسفة عمر، واصل حديثك ودعني أفهم ما جرى ...

–في صبيحة اليوم ذهبت لأراها في عملها، لكن فوجئت بأنها قد خُطبت لآخر ! ،فجلست على الأرض ولم أستطع الحراك، لم أصدق ما يقولون

أصبحت أصرخ كالمجنون، فأتى صديقي وأخرجني من المكان عنوةً،وأخذ يصرخ بي: عمر استيقظ ...أنت مجنون !!

قلت له : أريد أنا أراها ولو لآخر مرة أرجوك صديقي .

-مستحيل، الفتاة مخطوبة الآن، وسوف تتسبب لها بفضيحة !

-أرجوك صديقي أخبرها بأنني أريد محادثتها !!

أخبرها صديقي بذلك، لم أستطع تمالك نفسي حينما رأيتها، وكانت سلسلة في رقبتي هي من أهدتني إياها،فانتشلتها من رقبتي... وباركت لها بالخطوبة، أخذت تبكي وتضرب على صدري، وتصرُخُ: أرجوك هذا ليس بإرادتي أرجوك افهمني !! فرميت السلسلة لها، وذهبت ...

لقد خانت عهدي يا رهف، لقد ارتبطت بآخر بحجة أنها مغصوبة، أتصدقين بأن أحداً يستطيع أن يجعل فتاة ترتبط بآخر غصبا !!!

-عمر لعلها مظلومة، ولعل الظروف لم تكن بصالحها، لا تحكم عليها هكذا ...!

-رهف أي ظروف هذه ؟!أنا أحبها ومستعد على الارتباط بها، لكنها لا تريديني...!

–وما قصص الرسائل الممزقة الملقاة على الأرض؟

–لقد حاولت أن أكتب إليها ..

حاولتُ أن أشفي جرحي منها ببضع كلمات ! لكنني لم أستطع ..

آه .. لو استطيع أن أمزّق حبها كتلك الرسائل، لو استطيع أن انتشلها كتلك السلسلة ...

–هدئ من روعك أرجوك !

–الحمد للّه أنكِ بجانبي، ما كنت أعلم ماذا سأفعل وحدي دونَك ! شكرا لكِ...

–عمر، أرجوك قم بحذف آخر منشور على "الفيسبوك " .. ستتأذى حبيبتك حينما تراه ...

–أي واحد ؟

"في الثامن عشر من شهر أيلول يوم الذكرى الأولى لعلاقتنا سويا

حادثتها ليلا :حبيبتي لن تهجرينني صحيح ..؟! أجابتني بثقة: حبيبي سأنتظرك العمر كله .قلت له ا: لا أريد العمر كله، أريدك أنت العمر . فضحكت حبيبتي الحربه...

أشعر بأن الساعة لن تدق بعد الآن، كم مر وقت طويل على رحيلك يا نغم ! ، كم كنت صادقاً معك، وحاولت جاهدا أن أصنع في كل يوم ابتسامة على وجهك، وأن أزيل من أمامك جميع الهموم التي تأتي إليك! . أحببتك بصدق كزوجة لي، وعاشقة، وأخت،وصديقة، وأم،

لكنني كنت لاعبَ الاحتياط في حياتك إلى أن تحصلي على الصفقة الكبرى." .

لكنها هكذا، دعيني منها لقد أوجعتني كثيرا، أريد نسيانها ...!

تحدثنا طويلا، حتى مطلع الفجر .وحينَ فتحت عيناي وجدتُني نائمة على صدرك ! !

-كيف حصل هذا؟! !

-ذهب بنا الحديث، ولم نعلم كيف نمنا.

استيقظتُ مذهولة،وكأنني لم أستوعب ما حدث...

قلت لي : لم أشأ أن أوقظكِ ....!

–أنا آسفة عمر، لا اعلم كيف حصل هذا !

–لا تتأسفي صديقتي، لا بأس ...

كانت نظراتك مفعمة بالحب .. لأول مرة أراك شاكرا لي ..كنت سعيدة للغاية، لقد قمنا بتحضير الفطور سويا،وشربنا الشاي.

"آه يا عمر، كم كان هذا اليوم جميلا، تمنيت لو لم ينته." .

ما زلت أسأل نفسي: أين أنا من عالمك هذا؟من تفاصيلك الصغيرة تلك ابتسامتك،عفويتك،رجولتك، حتى دمعتك ؟! .

أين أنا من تلك التفاصيل التي لم تجمعني بك بعد ؟لكن جمعتك بأخرى ! ، وخطت على قلبك جرحا لا يشفى منه .!!

ما زلت أبحث عن نفسي معك،كيف تورطت بك ؟ كيف تورطتُ مع رجل لا يشبهني، رجل ما زال يكتب عن أخرى،وأرى الجميع ي دعون ليعودا سويا ؟! أين أنا من أنفاسك الدافئة ؟

أين أنا من صدرك الذي لم يحتويني بعد ؟!أسألك بالله أن ترحل ... اتركني وحيدة بلا وطن بلا ملج أ،فالموت للجبناء أشرف من العيش مع ذاكرة لا تموت. حينما عدت إلى المنزل، كان والدي غاضبا جدا، وعاتبني : منذ متى مسموحٌ أن تنامي عند الصديقات يا رهف .. !!

-أخبرته :كان علينا الكثير من المشاريع وأنهيناهم سويا ...

ذهبت إلى غرفتي، بدأت أحلق كالعصفورة، لقد نمت على صدره، هذه أجمل ليلة في حياتي، وأتذكر كل شيء حصل بيننا وكأنني أريد نسجه رواية أو قصة ما ...

أهاتف سيرين : (ما حكتلك شو صار معي ولي ...)

-شووو ولي احكي !

-نمت الليلة عند عمر ...

-هاا شو بتحكي !

-بحكيلك نمت عنده!

بدأت سيرين بالصراخ: رهف عاشقة وتنام عند غريب، وآخيرا!!

قلت لها : لا ليس كما تعتقدين، فقط تحدثنا طويلا،وغفيت دون قصدٍ على صدره !

–قلتيلي بالخطأ !

–سيرين اقسم بأنني لم أعي ماذا فعلت، قولي لي كيف يكون الحب مجددا !

–قالت : (الحب هو أنت الآن ...)

أقفلت هاتفي، وبدأت بالبكاء ... أنا واقعة في غرام عمر، وهو لا يعاملني سوى كصديقة يهاتفها كلما قست الحياة عليه .كان الجو خريفيا حينها، تتصارع فيه الأشجار حفاظا على أوراقها، والهواء يعزف سيمفونية الرعب تلك، وأنا القاطنة في غرفتي وحيدة،

أستمع لفيروز ... " أنا لحبيبي وحبيبي إلي يا عصفورة بيضا ... لا بئى تسألي... "

أنا كفيروز، أحب في أغنية، ويهجرني حبيبي في أغنية أخرى .. الجميع ينتظره أحد إّما صيفا أو شتاء، إلا أنا، لا ينتظرني شيء سوى اللهفة على شيء يسمونه الحب، الحب من طرف واحد بالتأكيد .ماذا

لو غنت فيروز لي ؟ماذا لو لو أهدتني كلمات ، أهدتها لفتاة تعشق آخراً ولا يشعر بها، فأهديها لعمر ويبادلني الشعور ذاته ... ماذا لو كان الاعتراف بالحب أغنية ؟! ، لقد حصلت أن اعترف أحدهم بحبه لفتاة بأغنية قام بإرسالها لها، وقال هذه مني إليك !

تدق أمي الباب، تدخل لتحادثني : ما بها فتاتي شاحبة اللون ؟

أجيبها : حقا ! تقوم باحتضاني ... إنها الخدعة التي تستخدمها أمي لتسمع دقات قلبي، ففي كل مرة كانت تحتضنني، تقول لي :الحمد لله لم تعشق فتاتي بعد !

إلا اليوم تبتعد أمي عني قليلا، وتحدق بي كثيرا ... "رهف بتحبي؟"

فأطفئ صوت فيروز، وأنظر إليها : مستحيل يا أمي مستحيل !

-دقات قلبك تقول هذه !

-أحبك أنت،أحبك يا أمي ...

تغلق أمي الباب بغضب، وأنعزل بيني وبين نفسي،

" دقات قلبي بدأت تكشفني " ! .

الفصل الرابع "استعارة حب "

" أتعلم ماذا تعني كلمة أحبك

تعني : أنها ستكون ابتسامتك ابتسامتي

وسعادتك سعادتي

وحزنك قلقي ومخاوفي

وستكون أنت قدري الذي لا حول ولا قوة لي به

ستكون عالمي وعيناي

ستكون باختصار كل شيء... "

كوني على يقين أن أولئك اللذين تقتربين منهم، الّذين تهلوسين باسمهم قبل النوم، وتتذكرين كل ما يدور بينكم في اليوم، وتقرئين محادثتكم سويا، سيكونون سبب شقائك الدائم إذا لم تحافظي على تلك الحدود الحمراء التي يجب رسمها !

في كل مرة تسمحين لنفسك بأن تحادثي رجلاً، حيث للرجال هيمنة على قلوب النساء، وفي كلماتهم سحر يجذبك إليهم، ستشقين ... ! لا تسمحي لهم بأن يخدعوك في كلماتهم الزائفة، فكاظم الساهر أكثر من تغنى بالنساء، وترين عدد عاشقاته تجاوز عدد البلدان، لكنه يسكن في المغرب وحيدا دون أي امرأة تكون بجواره، فالرجل يعشق مرة واحدة، وبعدها قد يقضي ما تبقى من عمره، إما لاهياً مع ال فتيا ت، أو وحيدا دون أيّة أنثى يسمح لها بأن تكون شيئا في حياته، إنه كبرياء الرّجل السّاذج، فلا تسمحي بأن يقال بأنك الفتاة الغبية في حياته ! .

أصبحنا نقترب من بعضنا كثيرا، أروي لك ما يحدث معي، وتروي لي ما حدث معك.في تلك الليلة عندما كان المطر يهطل بشده، ونحن في المقهى جالسيْن،سألتني وأنت تنظر إلى عينيّ :رهف، هل تحبينني؟

ارتبكت كثيرا حينها، لم أكن أعلم ماذا تريد !أصبحت الأفكار تدور في ذهني، هل من الصائب أن أجيبك، نعم أحبك، وأفقد أخوتك وصداقتك ؟! أم أنه يجب علي أن أكتم ذلك في قلبي ؟ .. لكن ماذا إن لم تسمح لي الفرصة مرة ثانية بأن أبوح لك بذلك؟!

أمسكت يدي وقلت لي :رهف، أرجوك أجيبيني بصراحة، هل تحبينني؟

-أنت هل تحبني ؟

-رهف، أنا من أسألك !

كنت أشعر أنك تريد الإجابة بـ " نعم " وشعرت للحظة ما أنك واقع في هيامي، وأنك تحبني، وأن عبارتي " أنت أخي " تمنعك من ذلك، وتذكرت نصيحة صديقتي بأن أقول لا، لكنني لم أجرؤ على أن أفعلها، أجبتك بخجل:نعم، أحبك ...

لكن، كانت ردتك سريعة، وأجبتني :أنا أحبك أيضا ...

لم أكن أتوقع أن الرجل الغامض سيبوح لي مرة بأنه يحبني! لكن ماذا يا رهف ؟ماذا لو كان حبه هذا ردة فعل على ترك حبيبته؟ماذا ستفعلين حينها؟ هل ستتورطين في حبه ؟

لكن ... لم أكن أرى سوى أنني الآن معه، أحبه ويحبني .

أتذكر قصة حبة البازيلاء والأميرة الحقيقية ؟! تلك الحبة التي توضع أسفل الكثير من الأغطية وتنام الأميرة فوقهم ـفإن شعرت بها، فهي حقيقية وإن لم تشعر تكون غير حقيقة .ألا يوجد حبة مثلها تكشف إن كان هذا الحب حقيقيا أم لا ؟! وكم ستدوم مدته؟! ألم يقدر القرن الواحد والعشرون على تحديث تلك القصة لتتلاءم مع قلوبنا المهترئة . أنا أتعلق به بشدة، وهو يخاف التعلق بأحدهم، فالخيبة في قصص الحب مؤلمة بحق الكلمة .عندما تقع في قصة خيبة ما بعد قصة عشق قد تكون كل قصصك بالحب عبارة عن خيبة كبيرة، وقد تعجز أن تعشق من تحب، وربّما ستعيش طوال حياتك على ذكرى مؤلمة، هي ذكرى ذلك الحبيب الأول.

في ذلك النهار، كنت منهمكة في عملي، وغارقة في صورة عمر التي أضعها في حقيبتي،هاتفتني رنا وهي تبكي : أرجوكِ رهف تعالي بسرعة

–ماذا حصل !

–سيرين انتحرت !

لم تقو قدماي على الوقوف، ماذا؟ مجنونة محمد !! لمَ !! ما الشيء الذي دعا صديقتي للانتحار ؟!!.

ذهبت مسرعة إلى المستشفى .كانت ملقاة على سرير في تلك الغرفة التي لطالما كرهت اسمها وكرهتها ! .كانت أمها تبكي فوق رأسها، وما إن لاحظت وجودي، حتى أتتني باكية. ...

–(يخالتي يحبيبتي شو الي خلاها تنتحر ..!! ما الي غيرها ...!) وقامت باحتضاني .. بدأت بالانهيار وأخذت أفكّر " لم تخبرني ماذا حصل معها بعد تلك الليلة التي قضتها مع محمد، لم أستمع لها، وتناسيت أمرها تماما،

" كل الحق عليّ أنا ..."

حاولت تهدئة الخالة أم سيرين ودخلت للغرفة، أمسكت بيديها، كانتا باردتينِ كالجليد.

–يا مجنونة ما الشيء الذي دفعك لتشوهي يديك الجميلتين ؟!!!

نظرت اليّ وقالت :الحب ...

–ها أنتِ ! .وصمتُّ لأني لم أرغب بأن أزيد الأمور سوءا عليها !

قلت لها: ضعيه على رفوف قلبك، لا تجعلي خذلانه لك وهماً يقيد عالمك، اجعليه خطوةً تخطينها للأمام، لتبرهني للجميع بأنك كما خلقت وحيدةً ستستطيعين العيش بدونه، اهجري أولئك الذين يقولون لك أقوالاً عنه، مزقي جميع ذكرياتكما سوياً وأحرقيها واجعلي من رمادها مسحوقاً لقلبك المحترق، لا تقفي فقط لكونه رجلاً قام بخذلانك، أو خيبةً أصابتك منه، فلو كان يعلم بالحب مذهب لم هجرك، وخذلك، وأصبح خيبةً في حياتك، انطلقي إلى عالمك، أنثى شرقيةً حرةً عربيةً، لا تقيدها أوهام رجل، ولا يسلب عقلها كلمات بصمها ليقولها لكل امرأة عرفها؛ كوني أنتِ .

أخبرتني ماذا حصل، وخرجت من غرفتها باكية ....

ذهبت إلى المنزل مسرعة، ركضت إلى غرفتي، وبكيت طويلا، فتحت حسابي الفيسبوكي، وقمت بنشر منشور عن حالتها، لأول مرة أكتب بألم، لأول مرة أكتب للألم....

كان منشوري يحوي بضع كلمات بدأتها هكذا، حاولت أن أوصلها لمحمد، ذلك الذي قد تخلى عن صديقتي.

كان يحبها بعيدا عن طريقتها في الحب...يشتهيها كحبة فراولة في أوج موسمها،ويتلذذ بها مع القليل من الكريما المخفوقة، كانت نظراته مفعمة بالرغبة، وعلى خلاف ذلك فهي في كل مرة يلتقيان بها تداعبه لطفلة صغيرة، تنظر إلى أبيها البطل بكل جرأة وحياء كأنه تريده أباً ثانياً لها...

في زمن مليء بالتنازلات والشهوات المتدثرة بما يسمى الحب، لم تكن تقتنع بهذا الحب، غالبا ما كانت تفصل رغبتها عن حاجتها إليه، أحبته كثيرا ولعله أحبها يوما ما، لكن ماذا عساها أن تفعل وهو من قال لها يوما: "لا تثقي برجل يجعل أنثى تنزل من عين نفسها ! ." قالها لها ونسي أن ذاكرتها تنسج لآلئه حرفا حرفا، وليس ذلك فقط بل تبصمها ظهرا عن قلب .

في يوم طلب قربها، رفضت ذلك بشدة، لكنه بارع بأن يوقع فريسة مثلها في شباكه،م ا أن استطاع إقناعها بكلامه المعسول واستقطبه اليه،حتى ذاق ما كان يشتهيه منها...

خرجت والدمع بعينيها وهو جالس على كرسيه مشعلٌ غليونه، لم يودعها حتّى !لكنّه اكتفى بالنظر إلى دموعها بصمت .

في يوم آخر، سألها عن سبب هجرانها له، وقعت في غيبوبة لم تستيقظ منها إلى الآن ! فكيف ستخبره أن الأنثى تكره أي رجل يحاول سلب أي شيء منها حتى لو كانت دميتها الصغيرة .هي تدخل معركة وتقاتل من أجل الربح ولا تجيد الخسارة حتى وإ ن خسرت ستضحك على نفسها بقولها أنها لا تحب هذا الشيء ، ولهذا انتحرت !

أذكر بأن ذلك المنشور تعاطف معه آلاف المتابعين على الفيسبوك، وتناقلته الكثير من الفتيات، وكأن كل فتاة كانت تنتظره وبشدة .أي حب هذا الذي يدفعنا للتخلي عن حياتنا،وأحبتنا، والانعزال بيننا وبين أنفسنا ...؟أي حب هذا الذي يجعلنا نتقوقع في زنزانة الظلم تلك التى نظلم بها أنفسنا قبل كل شيء ... ؟

حادثت محمد بغضب في تلك الليلة " أتدرك ماذا فعلت ؟!! أنت بلا إنسانية . أنت لا تستحقها !". كان هادئاً جدا، ولم يعترف بأنه ظلمها بفعلته وأجابني: "هي من فعلت بنفسها هذا، فلتتحمل نتيجة خطئها " .شتمته حينها، ولأول مرة أشتم أحدهم، ودعوت عليه من قلبي، وبعدها هاتفت عمر أخبره ماذا حصل، كأنني حاولت أن أوصل رسالة له، أرجوك لا تفعل هذا بي ..!، أخبرني عمر بأن هذا ليس رجلا،وأنّه ذكر فقط، وعلي جيدا أن أفرق بينهما .علمني درسا لم أنسه في حياتي " أن الرجل لا يطلب شيئا لا يستحقه، ولن يأخذ شيئا لا يسمح لأخته بأن تهبه لأحدهم " .

في تلك الليلة نمت وأنا مطمئنة أن عمر لن يفعل هذا بي، نمت وأنا أتمتم أنه أجمل شيء في حياتي، وأنه رجل وليس ذكر .

كان الثاني من تشرين الأول، أنا وأنت نجلس بالحديقة ،فبدأت أسألك أسئلة كثيرة ؛ لأقوم بتحليل شخصيتك الغامضة..

-عمر، ما لونك المفضل ؟

-أبيض، كنقاء قلبك...

–وماذا تفضل من الأقمشة ؟

–المخملي ّكروحك.

–مخمليّ ؟كروحي ؟ كيف هذه؟

–روحك ذات ظل خفيفة، مرحة، مخملية.

–وما طعامك المفضل ؟

–أحب الفراولة...

–عمر سألتك عن طعامك، وليس فاكهتك !.

–يا رهف، متى سينتهي تحليل الشخصية هذا ؟

–آه يا عمر، أنت لا تعطيني أيّ أج وبة دقيقة، مراوغٌ كبيرٌ أنت!.

–هههههه كيف لي ألا أراوغ وبجانبي محلل الشخصية ؟

–كفى، أنت ثقيل الدم ! ولا أريد أن أكمل اللعبة!.

–إلى أين أنت ذاهبة يا عصبية؟

–إلى الجحيم ! ! أنت دائما تستخف بي .

–ملاكي، لا تحزني .. !انظري ماذا سأفعل !أيها الناس، أترون هذه الفتاة ؟

–عمر، اجلس، ماذا تفعل ؟ مجنون .

–أنا أعشقها .. أنا أحبها .. أنا مسحور بها .

–اجلس عمر الجميع ينظر إلينا.

–عاهديني على البقاء بجانبي.

–أعاهدك.

أتذكّرُ ذلك اليوم الذي تبعه بكل تفاصيله، حتى صوت دقات الساعة، كنا نتحدث في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، أخبرني بأنه يريد السفر، فسألته :أين؟ ومتى؟ ومع من سأبقى ؟،فأ خبرني أنها ستكون مدة قصيرة .في ذلك الوقت دق هاتف المنزل،اعتذرت منه قليلا ؛لأجيب عن هاتف المنزل .

–الو من ؟

–أنا أعرفك جيدا لكنك لا تعرفين من أنا، كيف حالك؟

–بخير، لكن من يكلمني ؟

ولم أتلق أي رد منه ! كان عمر ذا عقل ساذج، فقال لي : من على الهاتف ؟

أجبته : غريب، لا أعرفه .

قال : ولم ارتبكت ؟

قلت : لم أرتبك، لم أعرف من يتكلم معي .

–"ها، أحبيبك الآخر هذا؟ "

–عمر، ماذا تقول؟ ليس لي حبيب سواك .

أقفل الهاتف .

الشك في الحب، هو الإبرة التي يقتل به المجرم فريسته، عن طريق غرزها برقبته دون أي مادة تحتويها، فتموت الضحية، دون أي ة بقايا للجريمة .إنها الإبرة القاتلة في الحب ،والجزء الأكبر من عقول الرجال يدورون حول محور الشك كدوران الكواكب حول الشمس بانتظام تام .

عندما يُخان الرجل، يفقد الثقة بجميع نساء العالم، ولعله قد يراه نَّ نوتات موسيقية على سطر موسيقي واحد، حينما يعزفها أحدهم لن ينطلق سوى صوت واحد قد يكون (Doأو Re)،وهكذا تصبح النساء بالنسبة للرجل .خلافَ تلك الأنثى بعد خيانة حبيبها، وخيبة صديقها لا تفقد الثقة بمن حولها، لكنها تغدو قطة ضائعة تريد إيجاد أمها ؛لتلتقطها من رقبتها، ولا تستطيع العيش دون رجل يمتلكها ؛لأنها خلقت لتكمله، لكنه يجهل أنها خلقت من ضلعه، وأنها لن تجد الراحة سوى عندما تجد صدرا يحتويها، ويشعرها بالأمان .

مر يومان دون أن يحادثني .لم يسمح لي كبريائي بأن أهاتفه قبل أن يهاتفني،وبعد أسبوع أصبح الألم يفتك بي، فلأخبرت صديقتي الأمر .. أخبرتني بأنها سوف تساعدني في شرح الموقف، وذهبت ريم ا لتتحدث معه .

أجابها :أيعقل أن هاتف منزل فتاة يدق في الساعة الثانية بعد منتصف الليل للمعاكسة فقط ؟

قالت له : بأن هذا ليس أمرا كافيا لتشك بها، خاصة وأنها تحبك كثيرا.

قال لها : يزعجني المعجبون من حولها، كلهم يريدون محادثتها، وأنا لا أستطيع أن أعشق أنثى يهواها جميع الرجال.

قالت: ما ذنبها إن كانت تكتب ما يريده الرجال في النساء ؟

وبعد مدة تزيد عن الأسبوعين، حينما عاد من سفره هاتفني، واعتذر مني قائلا :إنها غيرة عابرة، وأنا أحبك كثيرا، ولا أريد أ نثى غيرك .فرحت كثيرا لعودته، حتى لغيرته تلك .

–بس لا تعيدها آخر مرة ...

–مإشي حياتي آخر مرة سامحيني...

–سامحتك يا قلبي. . .

أصبح يكلمني كثيرا، أستيقظ على همسات صوته، أحبك يا رهف، أحبك، أحبك .وبعد فترة، عاد عمر بارد ا جدا معي .. يكلمني ببرودة،ولا يهاتفني إلا مرة في اليوم،وأحيانا ينسى الأمر تماما .بدأت أخاف خسرانه، فصارحته:

عمر، أراك قد تغيرت كثيرا، هل من شيء يزعجك؟

قال لي :لا شيء.

قلت : لكن، ماذا؟

–أريد فترة من الراحة فقط، أريد الابتعاد عن كل شيء.

–لكن، أنا كنت راحتك .

–رهف، أرجوك كفاك كلاما،أريد النوم الآن.

–تنام ؟! الساعة الثامنة مساء.

–آه أريد النوم، وهل يوجد مانع لديك؟

–عمر لماذا تحادثني هكذا؟أنت تزعجني .

–رهف، باي باي . . .

لم أعلم ما كان إحساسي حينها ! كنت أشعر بخروج الروح من جسدي .. من أخمص قدمي حتى جبهتي.

"لم يفعل هكذا معي . بماذا أخطأت معه ؟".لم يكن يتهيأ لي، أو حتى يراودني الشك، ولو لمرة أنه يحادث أخرى .كانت ثقتي به ثقة عمياء ! .وفي اليوم التالي : شعرتُ بتأنيب الضمير ،فكيف أجعله ينام و مزاجه

ليس جيدا ! ، هاتفته لأخبره أنني أريد أن نخرج سويا اليوم ..، لكن . . .كان خطه مشغولا .ثمّ هاتفته ثانية بعد ربع ساعة ، وكان ما زال مشغولا .وبعد نصف ساعة، وكان ما زال مشغولا .أي حديث هذا الذي يجعل رجلا يتكلم مدة نصف ساعة كاملة ، كنت أعلم أن عمر لا يتوق له المحادثات على الهاتف سوى عندما يقع في الحب .لكن .. أنا حبيبته، وهو لا يتكلم معي ! إذا مع من يتكلم؟

أصبحت جمرة الغيرة تشتعل في قلبي .. ذلك الإحساس الذي لم أشعر به من قبل .الغيرة في الحب نيران مشتعلة تلتهم كل ما تراه أمامها، تكبر وتزداد مع كل شيء تصادفه، ما إن تشتعل كثيرا، حتى تنطفئ لتنثر رماد الحب في الهواء وكأنه لم يكن .لكنني لم أفقد ثقتي به يوما، كنت أُصَنف من النساء العقلانيات، اللواتي يقمن بتقييم الأمور بطريقة منطقية .

-لا يا رهف ! إنه لا يحادث غيرك، يبدو أنّه مشغول في عمل مهم .حاولت الاتصال به مجددا، فأجابني!

-حبيبي، كيف أنت ؟

-منيح رهف، وأنت كيفك؟

–رهف !شو، وين كلمة حبيبتي؟

–رهف شو بدك ؟

–مع مين كنت مشغول؟

–كنت نايم.

–نايم؟ أي نوم ا يا عمر، صرلو تلفونك مشغول نص ساعة!

–بما إنك بتعرفي لشو بتسألي؟

–عمر لي بتحكي معي به اي اللهجة ؟

–ولا شي، أنا مشغول بعدين بنحكي.

وأقفل الهاتف في وجهي .

ما الذي يحدث يا رهف ؟ ها هو الشاب الذي لم يترك أي طريقة ليصل بها إلى قلبك، يخون عهده ! . كنت أبكي لريما وجعي، فتحاول أن تهدأ من روعي ...

–"طنشيه، ولا تحكي معه ".

-"بس كيف أطنشه، وهو كل حياتي".

-"لا تعطيه وجه، برجعلك".

أخذت ريما تعطيني النصائح التي من خلالها أ عيد رجلا إلى شباكي .كانت ريما من النساء اللواتي لديهن القدرة على إيقاع أي رجل في شباك عشقهن الزائف .

-ريما أنا أحبه كثيرا لا أستطيع العيش دونه، أرجوك حاولي مهاتفته ، وأفهميه ما أشعر به من ألم دون أن يعلم أنني من طلبت منك هذا .فقالت: حسنا سأحاول.

أخذت كل يوم أهاتف ريما :ما الذي حصل معك ؟ هل قال شيئا؟ هل حادثك بشأني ؟

فتجيبني : لا، لم يذكر اسمك أبدا .

-ها، ولم يحادثني أيضا.أيعقل بأنه قد نسيني ؟! وأبدأ حفلة البكاء تلك

-رهف عزيزتي، أود الذهاب.

-إلى أين؟

-لقد أتاني ضيوف .

-حسنا صديقتي وداعا.

أقفل سماعة هاتفي، لأبدأ معركة مع الدموع والغيرة والحرقة، يا إلهي أي نوع من الرجال أنت يا عمر ؟! كيف تستطيع أن تبتعد عن من عاهدتها على البقاء بجانبها ! تلك الفتاة التي قد كسرَتْ جناحيها وأهدتهما لك،وقالت : علمني كيف أبتسم دونك !علمني الحروف الانتقامية التي تنسجها النساء ! علمني كره أ شباه الرجال ! وازرع في مخيلتي بأنك (سوسو الوحش) حيث أنّني لطالما ابتعدت عن هؤلاء الذين أطلق عليهم لقب (الرجال نزوة حينما ولدوا).لكن، في ذلك النهار المشؤوم اتصل بي وأخبرني أنه لا يريد أن يبقى حبيبلي، وطلب مني أن نعود أصدقاء، قال لي :أنا تسرعت في حبك ! ، وأنّه يحتاج فترة ؛ليفكر بالأمر مجدداً، وأنّه لا يريد أن يتسرع باتخاذ قرارٍ ما ! كان يحادثني، لكنني لم أكن أعي ما يقول كنت حينها أبكي كطفلة يتيمة مشردة حزينة جائعة في ليل عاصف لا يوجد غيري في شارع مظلم، أحاول الإمساك بالنور، لكنه ينطفئ في كل لحظة أقترب بها أكثر ،

خيبتي ازدادت،هذه ليست المرة الأولى يا عمر، إنها الثانية التي تربكني فيها، تفككني، تحطمني! يا عمر لما ذا تفعل هذا ؟ هل سأتقبلك مرة أخرى صديق ا؟وكأن شيئا لم يكن ؟ كيف سأك تب هذه المعزوفة ؟ .أجبته : حسنا يا صديقي لا بأس ! .أقفلت الهاتف .لَلمْ أصرخ به ؟لَلمْ أعاتبه؟... أصبحت ألوم نفسي على ردة فعلي الباردة، أو لعله اختبار منه ! لكن .. لم أجبته هكذا؟

غالباً الأنثى بعد كل خيبة حب، تثرثر كلمات بلا معنى، أو أنها تفقد القدرة على الكلام، لكن ما لا يعلمه الرجل ..أنها تنعزل بينها وبين نفسها، وتثرثر كلمات كثيرة في ذهنها، ولو تكلمت به ا؛لمات الرجل حزنا .لكن هي لا تريد شفقته، لا تريده حبيبا مشفقا، هي تريده حبيبا،وأباً، وأما،وأختا وأخا... تريده عالمها.لا تريد كلمة أحبك، أو غيرها !هي أحبته كثيرا .

في هذه الليلة متعبة للغاية، لم أنم طويلا، وأعاني من هبوط حاد في الضغط، لكنني أنتظره بفارغ الصبر، أضيء هاتفي المحمول في كل جزء من الثانية ؛لأرى رسالة صغيرة منه للمرة السابعة، لمدة لا تزيد عن الشهر وأنا أعاني من الانتظار .

في كل صباح يحدثني بأنه سوف يأتي، وأنتظره طوال اليوم فلا أخرج من بيتي، ولا أكلم أحدا،ولا أفعل شيئا سوى الانتظار .خاب ظني فيه ست عشرة مرة، كنت أؤمن بحبه، وعلى يقين بأنه سيفي بوعده، وأنه يشعر بي، ولم أكن مدركة أنه قد نسي أمري تماماً، وأن وعوده تلك هي مجرد كلمات ؛ليستريح ضميره قليلاً.

تهاتفني صديقتي المقربة.

-آلو رهف، كيف حالك؟

أجيبها بصوت ينبض بالألم :بخير يا صديقتي.

أيقنت صديقتي بأنني لستُ بخير من نبرة صوتي، قالت : عمر مرة أخرى، لعنه الله عليه.

-لا، لا يا صديقتي، لا تشتميه (الغايب عذره معه).

-لكنني لا أستطيع أن أرى صديقتي تموت وأصمت ؟

-لن أموت يا عزيزتي أنا بخير، سأنتظره فقط .

–رهف، أرجوك استيقظي من سباتك، هو لا يحبك، فقط كان يلهو بمشاعرك، ولا يستحق إخلاصك.

–لا يا لميس، هو صادق ! لكن ظروف حياته أجبرته على ذلك .

–رهف ! أي ظروف تلك التي تج عله يخنقك كل يوم ولا يكترث لبكائك؟

–صديقتي، لا تقلقي بشأني، أنا بخير، لقد وعدت أن أبقى بخير.

–مغفلة يا صديقتي، تصبحين على كرهه.

–لا تدعي هكذا.وأنت من أهل الخير.

أقفلتُ مع لميس وأنا علي يقين أنها صادقة .لكنني كبحار يبحر وسط محيط هائج في ليلة عاصفة وعلى يقين أنه سيموت، لكنه يرمي شبكته لعله يصطاد شيئا يفي حاجته،آلامي تزداد ثانية بعد ثانية، قلبي يتدفق حبا له، وقلبه غير مهتم . أريد انتزاعه من قلبي، لكن قلبي يرفض الابتعاد !! وفيّة جدا له، لكنه لا يكترث لأمري، ولا حتى لدموعي ! أموت غيظا عندما أحاول مكالمته، ويكون مشغولا .تدور في ذهني الملايين

من الأفكار لعله يكلم غيري، لعله أحب غيري، وبعد محاولات عديدة لمكالمته، يجيب ببرودة: آسف لقد كنت مشغولا!.

لا أستطيع البكاء، ولا حتى أن أظهر صوتي المختنق، فلأقول له بصوت طبيعي : الله يعطيك العافية .بعدها أقفل هاتفي وأبكي بيني وبين نفسي . أتذكر تلك الليلة، حينما هطل المطر بشدة، أمسكت يدي وبدأنا بالركض سويا، كنت تقول : أسرعي يا ملاكي، سوف تمرضين إذا استمررت في مشية السلحفاة تلك . وقفت لوهلة نظرت إلى عينيك وقلت لك : دع المطر يشهد على حبنا هذا المساء .أجبتني : وكيف سيشهد علينا؟

–دعه يهطل من أجلي أكثر ،ودعني أختبئ منه فيك .. .ضحكت حينها، وصرخت : أيها المطر أهطل بشدة، واجعل حبيبتي تختبئ معي إلى الأبد .

كم سيكون هذا الشتاء مؤلم وباردا وقاسيا دونك ! من سيوقظني صباحا ؟ من سيصرخ علي لكي أرتدي الكثير من الملابس عندما أخرج من المنزل ؟.كان الشتاء الماضي دافئ ا جدا، كان حنونا وعاطفيا،كان بجانبي شخص يسعدني، يمتلكني، ويشعر بي .أما هذا الشتاء فأنا وحيدة وسط

عاصفة من الأشواق، وحيدة دونك، سأسير تحت المطر دونك،سأسير أنا وأحلامي وخيبتك سويا، آه كم سيكون مؤلم هذا الشتاء !

وبعد مدة تزيد عن الشهر، اتصل بي، لم أصدق حينها أنه هو من يدق على هاتفي،وكنت أرتجف خوفا ! أخاف أن يقول لي كلام ا يؤذيني، أخاف أنه قرر الرحيل،لكنني أجبته.

–آلو رهف، كيف حالك ؟.

–أنا بخير، كيف حالك أنت؟.

–وأنا أيضا بخير.

–رهف، أريد أن أخبرك شيئا ..

أرجوك يا رهف افهميني، أنا أحببتك من قلبي، لكنني اكتشفت أنه كان حب أخ لأخته ليس أكثر ! لم أحبك يوما كعشيقة أو زوج ة ! أرجوك رهف، سامحيني .لم أكن أعلم ما يجب أن أقول ، واختلطت المشاعر عليّ فقط،والآن سأغادر البلاد، لكن عندما أعود أريد أن أراك قوية وصامدة، أرجوك صديقتي .وانتهت مكالمته بجرح كبير في صدري،أصبح الألم يفتك بي أكثر وأكثر.الحب كالأفعى، يمتلك السم في

فمه، لكنه لا يقتل سوى من يقع فريسة له ،ومن يحب لا يدرك أنه يقع فريسة لشيء اسمه الحياة ما بعد الموت.

عندما تعشق الأنثى، تشعر بالموت والحياة سويا، تموت بفراقه، وتحيى لقربه.ومرت الأيام بيننا كالحلم، أشتاق فجأة فأحادثه، يشعر بخيبة من الحياة، فيحادثني، لكنني علمتُ مؤخرا أنه تركني ؛لأنه يحب أخرى .. علمت أنه قد باعني من أجلها، لكن من هذه الساقطة التي سلبتك مني ؟ من هذه التي قدرت على تدمير حبنا الجميل ؟ من هذه

يا عمر ؟

ويا لغرابة القدر كأنه يريد أن يريني عمر مع حبيبته.كنت حينها أتسوق ؛لأشتري بعض الأغراض للمنزل ،رأيته في المطعم وبجانبه فتاة، كانا يبتسمان سويا، وتبدو عليهما السعادة، راقبته ؛لأعرف من هي .وبعد مدة خرجا من المطعم، لم أصدق حينها ما رأته عين اي، يبدو أنني لم أنم الليلة، أو أنني في حلم ما، هذه أعز صديقة لي، هذه ريما لا يعقل أنها هي من سلبت عمر مني، هذه من كنت أبكي لها وجعي ، من نمت وأنا احتضنها وأقول لها عن خيبتي به، كيف تفعلين هذا بي يا

صديقتي ؟! كيف تخونين عهد صداقة دام خمس ة عشر عام ا بيني وبينك من أجل ذكر قد خان عهده كثيرا ! !

لكن ماذا سأفعل الآن ؟ كان يجب أن أريهما نفسي حتى يشعرا بشيء من الخجل بداخلهما، اصطدمت بريما عمدا.

وقلت: شو هالصدفة ريما وعمر مع بعض،شو حلوين! ! !

ارتبكت ريما، ولم تعرف ما تقول ، وعمر بدأ يعرق وجهه كثيرا.

– رهف، أنت فاهمة الموضوع غلط .

–ما في شي بيني وبين عمر.

–آه صح كلامك، ماسكة إيده وبتضحكوا سوى و(فرندس)ما أزكاكم! ! ! .

عمر، لم ينطق بأي حرف في ذلك الوقت .تركتهما سويا، وذهبت، وأنا أردد في ذهني "لا أريد البكاء، لا أريد البكاء" .

لكن غالبا ما كانت دموعي تخونني ،وأبدأ برحلة مع البكاء، أشعر بأنني في مدينة لألعاب كبيرة جدا وباهرة، لكنني أخاف الاقتراب من كثير من الألعاب فيها، مع أنّي أعشق لعبة المرايا تلك، حيث أستطيع رؤية نفسي مبتسمة طويلة قصيرة كيفما أريد، وأنا أضحك على مظهري

قليلا،كانت رؤيتي لريما وعمر سويا، هي لعبة الموت التي كنت أخشاها دائما، خيانة حبيب وخيبة صديقة، يا إلهي ما أصعبهما سويا، فالألم في هذه المرحلة يمتزج بالكبرياء، وضحكات ساخرة لشعورنا بالغباء، قلت :"حسبي الله ونعم الوكيل " ونمت .

استيقظت صباحاً لأسترجع ذكرياتي في الجامعة، حيث غرقت بتفاصيل لم ألتفت لها من قبل، ذلك الوقت الذي سبق فراقي لمكان اعتدت عليه وعشت به ذكريات جيدة وحزينة ،إن أكثر شيء كان يشغل تفكيري حينها هو صديقاتي، إحداهن ببسمتها الساحرة وصوت ضحكتها العالي ينعش الحياة، والأخرى ذات العيون الجميلة، وتلك بهدوئها. والأغرب من ذلك بأننا لم نعد صديقات، مع أنه قد تشاركنا ليس فقط الخبز والملح، بل الطعام كله بمرارته وحلاوته ، بضحكاتنا ، بخبياتنا ، وغصاتنا، في هذه اللحظة أشتاق لكوب قهوة كنت قد انتشلته من صديقتي لأحتسيه صباحاً، وكيس شبس قد سرقناه من إحداهن لنأكله ومن ثم نلقي لها الكيس فارغ، وتنطلق ضحكة صاخبة حينها، وتشتمنا صديقتي، هي ذكريات كانت أجمل من كل شيء أمر به الآن، رغم غلاف الوجع الذي يحيط بها، لكنها الأجمل بالنسبة لي، وللأسف ها أنا اليوم بلا صديقات، بلا حب، بلا شيء!

–رهف، أريد الاعتراف بشيء لك.

–تخيفني كلمة (الاعتراف) يا عمر .

–لمَ تحادثينني وكأني غريب، دون حبيبي أو أي شيء.

–لأنك أصبحت هكذا .

–أنتِ ساذجة.

–وأنت أناني، وخائن.

–تشتمينني يا رهف ؟

–وهل تريد مني أن أقف وأصفق لك ؟!أو أرقص لك ربما !

–هذه ليست كلماتك، من علمك هذه السخافات ؟

–أنت، وقسوتك، وخيانتك المتكررة.

–وماذا أيضا ؟ دعي أحقادك تظهر.

–أحقادي يا عمر ؟

–لم أعرف معنى هذه الكلمة قط إلا معك، سلام .

–إلى أين ؟ لم ننه حديثنا بعد .

–أعلم النهاية ... ستبرر أن تلك الساذجة التي تحبك قدمت إليك تبكي، وحضنتها أختا ليس أكثر .. والأمور هكذا ... حنون مع غيري، لكنّك لئيم وخائن معي ! رجل مثلك لا يهمني أمره...! ما عُدت تلك الطفلة التي تنتظرك بلهفة ؛ تتحدث معك، ولا تلك الساذجة التي تغرقها بأشعارك القبانية، ولا تلك المراهقة التي تسحرها بزهور ك الفرجسية .ما عُدت تلك الأنثى التي عرفتها لأول مرة، أصبحت حكيمة بالقدر الكافي؛لأبتعد عن أكاذيبك الغزلية، وأحطم أحلامك الذكرية.

في كل قصة عشق تنتهي، يشعر الرجل بحرية كبيرة، ينطلق إلى الشارع عصفورا حرا لا يقيده شيء سوى جناحيه، وجناحاه هما الحرية بالنسبة له، خلاف تلك الفتاة التي تشعر بأن عالمها يضيق، حياتها انتهت، وكل شيء من حولها يضيق بها، حتى نظرات الآخرين تصبح هو، تتذكره في كل ثانية ترمش بها، تحن وتشتاق له، تموت غيظا عندما تفكر بأنه لن يكون معها، وأنه سيكون لأخرى تبكي كثيرا ، تنعزل، تفقد شهيتها للطعام، لكن سرعان ما تقلب الأمور بعد فترة وجيزة ! حيث يشتاق الرجل لأنثاه، لغيرتها، لكل شيء يشبهها

يشتاق، ويحن لها، ويعلم قيمتها، لكنه يكون قد تأخر كثيرا، فهي الآن سعيدة لفراقه، تألمت حتى الفرح، هي الآن قد نسيته، أخرجته من قلبها بقوتها، وانتزعته كانتزاع السيف من القلب، تألمت كثيرا ، والآن تقوم برحلة مع النسيان .و الآن يحبها أكثر ،يريدها على قناعة تامة أنها تحبه إلى الآن، لكنه يتناسى كم آلمها ! كم جعلها تبكي ! كم جرحها ! كم سهما قد غرز في صدرها ! .هي الآن مع آخر تحبه كثيرا، تراه بطلها، لقد نسيته، لا تريده الآن، هو سيبقى يحبها، يتذكرها .. كيف بكت كثيرا عليه ! وكم تألمت لأجله، وكم ضحت من أجل بقائهما سويا ! سيحاول أن يرجعها كثيرا ! .لكن هي الآن لا تريده، قلب الأنثى يختلف كثيرا عن الرجل، قلبها لا يحتمل الفراق، لكنه سرعان ما يبدل مكانه بمكان آخر يحميها، يحبها، يحن عليها، هي مخلوق حنون، رقيق، لا يستطيع جرح الآخرين لكنه صابر مليء بالأشواك، قادر على أن يجرح من يقترب منه ! لعلها حكمة من السماء أن تنسى الأنثى خيبة عشيقها السابق ؛لأنها تحمل في قلبها حب ا لجميع العالم.

الفصل الخامس " وأنيني الآن أنت "

هذا الفصل تم اقتباسه من قصة حقيقية لمريضة بالسرطان ،عانت فيها صديقتي " نور حمدان "، وكتبتها هي في حينها، وودت أن تكون فصل في هذه الرواية ....

" لأن المرض أحيانا .... لا يكون في أجسادنا ... قد يكون على هيئة بشر... وأصعب بكثير من المرض الحقيقي "

مر وقت طويل على أكثر اللحظات قسوة بحياتي، سبع أعوام تفصل بيني وبين رغبتي للحياة،كنت حينها صغيرة، أذكر بأنني لم أذق طعم الألم منذ ذلك الوقت، أتذكره في كل ساعة ودقيقة وحتى ثانية، وكأن تلك الأحداث حصلت معي بالأمس، بداية حينما ظهرت لي كتلة أشبه بالكرة خلف أذني، لم أكترث لها أو حتى حاولت أن أتجاهلها كثيرا، وبعد مدة بدأت أشعر بالتعب،كان يصيبني الغثيان وأحيانا أقع على الأرض، ذهبت إلى أمي وأخبرتها بذلك، زرت كل مستشفيات فلسطين في ذلك الوقت، أخبروني بأن معي مرض ليس خطيرا، لكنني كنت أرى دموع أمي كلما تنظر لي، زاد اهتمام أبي بي حينها، وزارتنا عمتي كثيرا، مع أنها لم تكن تحب أبي، تطلب الأمر مني إجراء عملية، بكيت صرخت، لكن ما كان علي إلا الاستسلام لتلك الغرفة القبيحة، ودعت أمي بالدموع والصراخ، شعرت للحظة بشعور أنني لن أخرج منها أبدا، أوصيتها على دميتي، قلت لها أطعميها جيدا، لا تستطيع النوم بدوني، كنت أفكر في تلك الدمية التي أهدتني الفرح دائما، وكانت تستمع لي دون أي كلل أو تعب، خرجت من تلك العملية حيّة أرزق، لم أمت ولم أتوقع بأنه سيأتي يوم وأموت دون تلك العملية، ظللت

شهرا انتظر نتائجها، قالوا لي أنّه أمر بسيط، فقط خمس جرعات من العلاج وينتهي كل شيء، "وماذا يعني العلاج يا أمي ؟!! "

لم أكن أعلم أي نوع من العلاج يتكلمون عنه، حسبته كتلك الأدوية التي كانت أمي تلاحقني بها حينما أمرض، وتذيبها بكأس من الماء حتى لا تعلق في فمي.لكنه كان علاجا أشد من ذلك بكثير بل أسوء شيء !

.دهشت حينما رأيت ممرضة تحمل بيديها أكياسا مليئة بسوائل ملونة

.بدأت بتثبيت الإبر في يدي، حاولت أكثر من مرة حتّى أصبحت يدي خضراء،وأخيرا ابتسم لي الحظ و استطاعت تثبيتها بشكل جيد، لم أشعر بالسوائل تغزو يدي مباشرة لكن سرعان ما مررت بإحساس كريه، وكأن احتراقا يسري في عروقي .. لا زلت أذكر ذلك الجفاف الذي سيطر على حلقي في ثوانٍ، ألم في عظامي، رجفة في أطرافي ! كرهت نفسي .. كرهت الغذاء .. كرهت كل شيء ! لدرجة أنني كرهت الماء، وهو بلا طعم أو لون أو رائحة ؛لأَنّي كلما فعلت شيئاً انتابني شعور الصداع والدوخة والألم غير المنتهي .

مرّت على جسدي لحظات قاسيات،يصبح كجثة هامدة بارد جدا، يرجف لا إراديا،لم يكن باستطاعتي التكلم، وكلما أردت شيئاً أئِنّ ُعسرى

أن يفهموا لغة المريض .إنّ رغبتك بمغادرة السرير،والكلام تزداد كلما شعرتَ بأنها سلبت منك، كنت حينها أقطن في غرفة المستشفى تلك، لا أستطيع إلا مراقبة ما يدور بالخارج، حيث كان سريري بجانب النافذة التي لا أذكر بأنني رأيتها مفتوحة ولو ليوم واحد حتّى، أو لعلني لم أستطع أن أحرك يديّ لأقوم بفتحها ! لكنها كانت العالم الخارجي الوحيد بالنسبة لي، أنظر إلى العمارة المقابلة لغرفتي بالمستشفى، وأقول كل يوم، عندما أخرج من هذه الغرفة اللعينة، سوف أزور تلك العمارة، وأخبر تلك الأم بأن تغلق النافذة ليلا، حتى لا يمرض طفلها مثلي،كنت أشعر بأن المرض أتاني، من نسمات الهواء التي كنت أتنفسها ليلا .مضت الأيامُ، وأخيراً بعدها جاءني الفرج لأخرج من تلك الغرفة القبيحة .

أذكر حينها بأن أبي جاء لنسافر معه، كان الفرج بالنسبة لي، سفر ومتعة، وسوف أجتاز مرضي بالتأكيد لكن سرعان ما خابت آمالي ! ظللت من أول يومٍ إلى يوم عودتي لفلسطين طريحة الفراش، شهر كامل على هذا الحال لا أقوى على الحراك، ولا على الخروج من المستشفى، والأصعب أنني الآن متغربة عن الوطن، ومفارقة العمارة تلك التي رسمت بمخيلتي قصصا كثيرة عنها، هنا الغرفة باردة جدا، وكأنها ثلاجة

الموتى! .ألقيت اللوم على أمي لعدم اهتمامها بي قبل مرضي، وعلى أبي لأنه تركني سنيناً وهو بالغربة .. وألقيت اللوم عَلى الهواء، وما ينقله من جراثيم.

بعد عدة أسابيع أصبح شعري يتساقط بغزارة كلما هممت بلمسه، فلضطررت لارتداء الشعر المستعار .كنت أجلس أمام المرآة لساعات أبكي على حالي، وما آلت إليه نفسي ! فكرهته، وكرهت نفسي، وكرهت شكلي، وكرهت كل من حولي، وتمنيت الموت كثيراً، فلا قلوب ترحم ! ولا أحد يقدر مريضاً ! .

كنت أحدث مرآتي كل يوم ، كيف سأخرج للشارع ؟! سيضحكون علي إن ذهبت هكذا ! كنت أنظر إلى شعر أبي وأخبره بأن شعره جميل !فأتى في اليوم التالي، دون شعر، حدقت به كثيرا، وسألته : أين ذهب شعرك ؟! .قال:هكذا أشبه صغيرتي ! هكذا أجمل ! بكيت كثيرا ! ومن ثم قامت أمي بالتقاط صورة لنا .

أمي لم تكن كأبي ! ليست قوية لهذا الحد، أرى دموعها وفي كل مرة تنظر لي تبدو كأنما تودعني .شعرت بشيء غريب، ذلك الذي يسمونه " شعور موت يقترب مني " .

بعد مرور خمس فترات من العلاج تذكرت وعد الطبيب لي، وفرحت فرحة لم تكتمل لسوء الحظ ! حيثُ فاجأني بقوله :ستأخذ ين ست جرعات أخرى للوقاية .للحظة شعرت أنه منافق وكاذب ، فشتمته، وخرجت أركض من العيادة المشؤومة .لفت انتباهي لوهلة عجوز تدعو وتتمتم بدعوات لي خفية، فواصلت بكائي وصراخي .لكن ماذا عساي أن أفعل ؟! لا هروب من القدر ! تقبلت ذلك، وأكملت العلاج .عدت لتلك الغرفة بعدما ظننت أنني لن أراها مجدداً .آلمتني تلك الإبر أكثر من أول مرة جربت فيها العلاج، وأنهيت هذه الجرعة .رجفت أعضائي على غير المعتاد، فنمت يومها لوقت الشروق من اليوم الذي يليه،أي تقريباً أكثر من ثمانية عشر ساعة أمضيتها في النوم.

أنهيت باقي الجرعات و بقيت الجرعة الأخيرة انتظرتها بفارغ الصبر أخذتها و كأنني لم أتألم لسنتين، متناسية كل الآلام وكل المرات التي دخلت فيها المستشفى، وكأن شيئاً لم يكن، كنت أسعد إنسان ة على هذه الكرة الأرضية حينها ، وأدركت أن دعوات أمي و أبي،ودعوات عمتي في غسق الليل، ودعوات تلك العجوز التي التقيت بها صدفة لم تذهب هباءً ! أدركت أن هذه الفترات لم تكن نقمة بل عكس ذلك تماماً، وأدركت معنى قوله تعالى : "وبشر الصابرين " .أحببت حينها

كل ذرة هواء في غلاف هذه الأرض،وأيقنت حب الله لي، وجزمت بأن لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة.

لم أكن أعلم بأنني سأواجه شيئا أصعب من مرضي ذلك، لكنني اليوم أشعر باليأس وكأنني لست تلك الطفلة التي خاضت معركة مع مرض لا شفاء منه، وشفيت .

أتدرك يا عمر أي مرض قد أصبتني به ؟! أتدرك حجم الألم الذي زرعته بي ...!! أكثر من ذلك كله ! لم أشأ أن أهب قلبي لأحد يوما، ولم أشأ أن يسيطر اليأس على عقلي، ولأول مرة أتمنى الموت ! ذلك الموت الأكثر قسوة من المرض، وغرفة العمليات تلك ! .

الفصل السادس " المعجـــب السريَ "

تؤلمني فكرة أن "أرتبط بآخر سواك "، أعلم بأنك لست أفضل رجل في هذا الكون، وأرى أحيانا أنك غير مناسب لي...

لـــــكن كيف لي أن " أعشق سواك " ؟

لطالما كنت طفلتك التي تغفو على صدرك، وتستنشق هواءها من عبق صوتك..

وترى العالم من عينيك...

لأول مرة أخاف الابتعاد، وفكرة الرحيل، والاقتراب من آخر...

أشعر بخوف شديد يملؤني وتتسارع دقات قلبي....

لأنني أحبك كما أنـــت، وتحبني كما أنـــا

رغم كل شيء ....." رغم مشاجراتنا، وانفصالنا أحيانا، وصوتك الذي يعلو علي

كثيرا، وشتائمك التي لا تنتهي وغيرتك وجنونك"

ما زلت أحتضن صورتك ليلا وأغفو !

ما زلت أستيقظ فجرا، أدعو الله ان تكون لي!

وأكـون لك..

بعَدك...

أصبح الجميع يكتشفون تصرفاتي الغريبة

وأثواب عاداتي التي انتزعتها حينما افترقنا حتى بائع القهوة الذي يقف باب المجلة كل صباح ينادي قهوة سادة، سكر، وسط إلا لي !

قرابة السنة...يقولها : سادة ويصبها بالكوب لكنّي اليوم فاجأته وقلت له :ضع نصف ملعقة من السكر بها ...نظر إليّ تلك النظرة المشابهة لنظرة صديقاتي حينما تبدلت ابتسامتي برقم الحادي عشر الذي يسكن بين حاجبي...وحينما رأتني أمي افتقد شهيتي للطعام...وحينما أحضر لي احدهم الكثير من الشوكلاته لكنها أبكتني،بعدما كانت أكثر شيء يفرحني وقال لي: نصف ملعقة من السكر!

أجبته : نعم...

انتشلتها من بين يديه وذهبت لأحتسيها حدادا على حبنا...

أعلم جيدا بأنني اليوم احتسيها كما تحبها أنت وكما لا أحبها أنا، محاولة مني لأنساك في كوب قهوة ونصف ملعقة من السكر ...لكنني أدمنتها كما شربُها وعدتُ في كل يوم أطلبها كما تحبها .

لم أعد أبحث عن أخبارك فقط، بل أصبحت أراقب تلك الساقطة التي استوطنت فؤادك،وسلبتك مني، أصبحت أراقب حسابها الشخصيّ .. مواعيدها ..

منشوراتها،وأحاول أن اقرأ ما يدور بينكما، عبر سطورها ...

أصبحت تلك الغريبة التي تبحث عن أي شيء ؛لتمسك بعبق الذا كرة ،كنت أؤمن بتلك العبارة "إذا أحببت شي ئا بشدة، فاتركه فإن عاد إليك فهو لك وإن لم يعد، فهو لم يكن لك من البداية" .

كنت على يقين بأنك ستعود، لكنّكَ عدت لأخرى .. لعلك أضعت العنوان، لعلك لجأت إلى وطن آخر، لعلني لم أعد مناسِبة لسذاجتك ... فوداعا سهيدي، أتمنى أن تكون تلك الساذجة التي تدّعي حبها الآن، أسذج منك ؛لكي تهجرك كما هجرتني.

بعد تأكدي أنني شفيت منه تماما ، أُمسكت هاتفي المحمول ورأيت آخر ظهور له على (واتس اب)، أراه منذ عدة دقائق قام بتغيير صورته الشخصية، جدد ألمي ووجعي مع إبدال صورته، أمسكت هاتفي بشدة، حلقت فترة طويلة بصورته وأقول : آه يا حبيبي لمن تركتني ؟أنا وحيدة دونك، آه كم فراقك هدّني !وأبكي وحيدة، أقرب هاتفي إلى قلبي وأقوم

باحتضان صورته، ليس لي الآن سوى محاولة العيش دونه .. أراه سعيدا،غير مكترث لفراقي، حتى أنه سعيد جدا، آه يا قلبي !أتألم ذلك الألم الذي أعجز عن وصفه!

كرهتك يا عمر .. كرهت كيف أحن لك دائما ولا أجدك بجانبي ، كرهت ضعفي وجبروتي وكبريائي، كرهت كل شيء يذكرني بك، حتى أنني بدأت أكره نفسي .أقف حائرة وأتساءل .. لو لم نلتقي، ماذا كان سيكون قدرنا ؟.ربما كنت سأراك على الطريق مكسور ا،ولعل تلك الوعكة التي أصابتك حين هجرتك حبيبتك قامت بقتلك !لو لم أكن، أو لم تكن، ماذا كان سيحصل؟

الحب والكراهية في ا لوقتِ ذاته مؤلم ان بمعنى الكلمة ! عندما تقرر كراهية من تحب، وتحاول أن تعالج نفسك من ذلك الحب، لكنك تزداد تعلقا به يوما بعد يوم ! تراه بعيدا عنك كل البعد، ولا تقتنع لفراقه أو لقسوة قلبه، فتحتضنه في عينين مليئتين بالدموع، وتعانق صورته خفية في الظلام ! .عندما تعشق الأنثى، وتتعلق بأحدهم، تبني أحلام ا كبيرة معه، بحجم بساطة آمالها، وعظمة آلامها بعد فراقه .

في ذلك النهار، سمعت أمي وهي تنادي، رهف يوجد صندوق على الباب لك، تعجبت من ذلك كثيرا، صندوق لي! كيف هذا !، لم يفاجئني أحدهم من قبل سوى بباقات الزهور تلك، لعله عمر يريد مصالحتي، ركضت نحو الباب، حملت الصندوق وأخذته إلى غرفتي، كان صندوقا خشبيا مقفلا بقفل، ولا يوجد معه مفتاح، ها، لا يوجد مفتاح، وكيف سأفتحه، بجانبه خريطة ورسالة في قارورة، ضحكت كثيرا، وكأنها رسالة من البحر، فتحتها فوجدت "تتبعي الخارطة لتصلي للمفتاح وتري ما بالصندوق "، قلت يا له من مجنون ! ماذا تفعل يا عمر ...!

أمسكت بالخريطة وبدأت اقرأ الأماكن التي بها، لبست حذائي، وتوجهت للمكان .أمي تنادي : رهف الى أين تذهبين ؟! إنه موعد الغداء !! . وأنا أردّ : لن أتأخر أمي ! سأرى ما بالصندوق وأعود .قمت بطلب تكسي وأخبرته عن المكان، وصلت إلى كوخ خشبيّ، كان جميلا جدا، لكنه مهجور .دققت الباب مرة، ومرتين، وثلاثة .. لكن لم يجب أحدهم،ففتحته بحذر، كان يوجد باقة من الزهور، ومفتاح بجانبه، أخذت الباقة استنشقتها وكأنها أكسجين،وأمسكت بها

وبالمفتاح، وخرجت مسرعة إلى التكسي .ما إن وصلت البيت،حتى قمت بفتحه، كان به خاتم وأسواره، وحبة بصل !

"ها !! حبة بصل ... من قام بإرسال هذا الصندوق لي ؟! "، وجدت أيضا ورقة مكتوب عليها : إن وصلت لك هذه الرسالة، هذا يعني بأنك قد ذهبتِ إلى بيتي، وبأنني سأعود مساءً وأستنشق عطرك، وأنا على يقين بأنك قد أخذت باقة الورود تلك، مع أنها ليست لك، كنت أريد أن أضعها في مزهريتي، حينما أدعوك على العشاء، لأريك بأنك أجمل منها، ستتعجبين لوجود حبة البصل تلك، لكنها اللغز الذي ستحتارين به، ولن تعرفيه إلا إذا عدتي للوراء كثيرا وكثيرا .أعلم بأن فتاة مثلك تعشق المغامرة والمفاجآت،فضولية جدا، وستفعل كل شيء لتعلم لغز البصلة .لقد أرسلت لك الكثير من الرسائل الورقية، وكأنها لم تصلك بعد، أو وصلتك وقمتي بتجاهلها، عودي إليهنّ وستجدين رقمي في إحداهن، وإن لم تجديها، انتظري صندوقا آخرَ مني.

أصبحت أبحث بين رسائلي القديمة تلك، لكنني لم أجدها، ربّما ألقيتها بسلة للمهملات !! يا الهي !! كيف سأعرف هذا اللغز ؟! ماذا تعني حبة البصلة تلك ؟! الفضول ... إنّه الشيء الأكثر الذي له

القدرة على أن يجعلنا نبحر في عالم غريب من التساؤلات والاكتشافات .أعتقد بأن كل ما يحدث في هذا الكون من اكتشافات وتطور هو فضول النفس البشرية التي لا ترضى بمعرفة القليل .كنت أنثى تعشق التفاصيل والأحداث، ولم أكن أرى أن الفضول مرض أو عادة سيئة، وكنت أمارس طقوسه وحدِي دون أن أزعج الآخرين .جلست في غرفتي أنظر من نافذتي إلى الحديقة المقابلة لبيتنا، كم كانت حديقتهم رائعة، وكم كان بيتنا قبيحا !

أن تسكن في عمارة لا يوجد بها حديقة، لكنها مليئة بنوافذ تطل على جيرانك اللذين تستطيع أن ترى كل تحركاتهم، ويملكون حديقة شيءٌ ممل وساذج للغاية .في كل مرة أفتح نافذتي لكي أرى ما يدور حولي، وكأن تلك النافذة هي متنفسي الوحيد لهذا العالم المليء بالتساؤلات .. أسرح في خيالي كثيرا، وأركز نظري على أمور تافهة، فتظن الجارة بأنني أراقبهم،فتهاتف أمي لتخبرها : بعدين مع بنتك الفضولية ....؟! .فتأتي أمي غاضبة لغرفتي .. تغلق النافذة وتصرخ بي :لا تنظري للجيران !

–لكنني يا أمي لا أنظر لهم، بل أنظر لخيبتي، وانكساراتي، وجروحي التي لم تلتئم بعد .فتغلق الباب بغضب، وتذهب ...

"كم أكره الجيران ! "

ها أنا أقف في نافذتي، وأحاول أن أشم رائحة تلك الخارطة التي قادتني لبيت ذلك الغريب، لعلني أعرفه من عطره، إن العطر أكثر شيء يعلق بالذاكرة، يقولون بأن كل عاشق يهدي عشيقته عطرا يميزها به بين جميع النساء، إلا أنا لم يهدِني عمر عطرا قط،لم أكن عشيقته أصلا .

من ذا الذي يحاول أن يوقع الحيرة في عقلي ؟! ماذا تعني حبة البصل تلك ؟! .أقلب سريري رأسا على عقب، وألقي بأدراجي أرضا، وأفتش في خزانتي بحثا عن تلك الرسالة لعلها توصلني إلى صاحبها، لكنني لم أجد شيئا .

منذ انتحار سيرين وارتباطي بعمر، ساءت علاقتي بها، فما عدت أجلس معها كثيرا،ولا نتحدث كالسابق، الآن ها نحن نتشارك الخيبة ذاتها، يختلف اسم عمر عن محمد لكنه التصرف ذاته،بعيدا عن المسميات، أهاتفها : سيرين كيف حالك...؟

تجيبيني بهدوء : بخير وأنتِ ؟

كانت صديقتي ترى الخيبة بي، إنني أكثر من استمعت لها عن حبها لمحمد، وأنا من قالت لها :ابتعدي عنه ! .الوحيدة التي لم تؤمن بحبه يوما، وكأنها تخجل من محادثتي ...!

فأقول لها –كي تشعر بالقليل من الراحة– : وعمر خيب ظني

فتعلو نبرة صوتها : حقا !

–نعم عزيزتي ....

فتغرق صديقتي بموجة الدموع لكن هذه المرة ليست وحيدة، وإنما أنا وهي متشاركتان،وأضحك بعد ربع ساعة من البكاء .. .فتقول : ما بك؟

–ألا تدركين بأننا قد وقعنا بالشيء ذاته، ونبكي للشيء ذاته، لكننا لم نؤمن يوما بالشيء ذاته ! .فتنفجر ضحكاً وتعود بنا الذكريات الى كلمة " ستتورطين به " ... وتعتذر صديقتي ...

فأقفل الهاتف، وأبكي أنا .

أنا لم أهاتف سيرين لأبكي عمر، هاتفتها لأعيد السنين التي كنت أخبرها بكل شيء يحدث معي فتعطيني الجواب عن كل شيء يحيرني، لكن ها هي الأقدار تسلب حكمة صديقتي، وتلقي بي وحيدة أحادث الجدران والسبب كله " أشباه الرجال " .فألقي بجسدي جثة هامدة على السرير، متعبة للغاية، ولا أنسى ولن أنسى ما حدث بي، أقلب رأسي على وسادتي لكي أنام، أحضنها بشدة وأشتاق لدميتي القذرة تلك،أحتاجها اليوم كثيرا برغم قذارتها، أغرق في أحلام اليقظة .. ماذا لو لم يهجرني عمر؟! ومن هذا الذي أرسل الرسالة ؟! فأستيقظ على صوت أمي تصرخ :ما هذا الذي فعلتيه في غرفتك ؟! إلى متى ستبقي فوضوية هكذا ؟! رتبيها بسرعة !!

فأفتح عينيّ قليلا، وأخرج رأسي من تحت الغطاء وأقول : أمي أرجوك أريد أن أنام، سوف أرتبها...

–الساعة الواحدة ظهرا، أي نوم هذا أفيقي ...

–حقا ... الواحدة ظهرا ...! فأنهض مذعورة باحثةً مجددا عن تلك الرسالة، واسأل

أمي : قبل فترة هل وصلتني رسالة ما ... .

فتنظر إلي باستعجاب : أتحلمين بها ! .

–أجيبيني أمي ...

تخبرني بأنها تحتفظ بجميع الرسائل التي تصلني في درجها، فأركض إلى غرفتها وأبحث عن الرسائل .أجد حوالي عشرين رسالة، لم أرهم ولم أقرأهم من قبل، أحدث أمي :لمَ لم تخبريني بهذه الرسائل ؟!

فتقول لي: كنت أخبرك، وتقولين ليست مهمة ...

–ها أنا ...

أيعقل أن علاقتي بعمر أبعدتني إلى هذا الحد عن الحياة، لم أذكر ولو لمرة واحدة بأنني تجاهلت رسالة من أحدهم، فكيف أتجاهل جميع الرسائل التي كانت تصلني، ما الذي فعلته بي يا عمر حتى أنسى نفسي وكل شيء يحيط بها ؟! .

كانت الرسالات لا تحتوي الكثير من الكلام، بعضها من المعجبين بمقالاتي، ورسالة تهديد من أحدهم، يقول لي :توقفي عن الكتابة ! ،ورسالة وقعت في يدي .. أظن بأنها من ذلك الغريب، ففتحتها

وبدأت أقرأ بها، رهف أحببتك منذ أول مقالة نشرتها، لعلك ستقولين: "مجنون، أو كاذب، لكن أقسم بحق السماء، أنني صنت مشاعري لكِ دائما، وآسف على إزعاجك بباقات الزهور تلك ،لكنني كنت أعلم أنك تعشقين ورد البنفسج، رأيت ذلك في سيرتك الذاتية، رهف، إن أردتِ أن تمنحيني فرصة ؛لأعبر لك عما بداخلي ، وتريني صدقي، هاتفي ني على هذا الرقم : ***، أنتظر مكالمة منك . معجبك السريّ. " .

يا إلهي ! أي معجب سريّ هذا، الرسالة قد وصلتني منذ خمسة أشهر،وأنا أراها اليوم لأول مرة .من هذا الشخص الذي يريد إدخال الحيرة إلى حياتي ؟! فضولي جعلني أهاتفه .. كنت دائما أود أن أعرف من هذا المعجب السريّ، وما هي قصته !

-آلو ...

-أهلا رهف .

-ها، كيف علمت أنني رهف ؟!

-أحفظ صوتك جيداً .

–أنت تخيفني يا هذا .

–لا تخافي .. لطالما كنت قريبا منك، لكنك لم تكترثِ لي يوماً.

–من أنت؟

–تسألينني بعد خمسة أشهر ...

–ستجيب من أنت أم أقفل الهاتف؟

–حسنا، هل بإمكاني أن أقابلك في مكان ما ؟

–لا طبعا، فأنا لا أقابل الغرباء .

–أنا لست بغريب .

–أوف، حسنا إلى اللقاء...

وأقفلت الهاتف ...

عاد واتصل بي مرة أخرى،ترددت كثيرا قبل أن أجيب، دارت في ذهني الكثير من التساؤلات، من يكون ؟ ولم أرسل لي ذلك الصندوق ؟ وكيف توصّل لعنوان بيتي؟! لكن فضولي قادني للرد عليه ...

–ماذا تريد يا هذا !

–رهف، أنا تيم .

–تيم، من تيم؟

–أتذكرين الشاب الذي التقيتِ به عندما كنت مسافرة إلى مصر ،وقتها كنتِ قد أضعتي جواز سفرك، وتبكين .

–آه لقد مرّ وقت طويل على ذلك، لكن كيف وصلت إليّ ؟

–اسأليني عن حالي أولاً..

–ها آسفة، ما زلت كما أنت روحك مرحة.

–وما زلت عصبية كما كنتِ.

–أنت مدينة لي لأنّني وجدت جواز سفرك في ذلك الوقت، و قلتِ لي أن أطلب أي شيء حينها، وطلبت أن تطعميني المسخن، عاهدتني حينها أنني إن أتيت لفلسطين ستصنعينه لي .

–هههههه، علمت الآن لمَ حبة البصل تلك ! ما زلت على عهدي .

–حسنا، وأنا ما زلت جائعا .

–ما رأيك بأن نلتقي؟

–لا بأس، سنلتقي في الحديقة العامة اليوم .

–أي حديقة؟

–التي تقع مقابل بيتي .

–حسنا. . .

–إلى اللقاء. . .

أقفلت الهاتف مع تيم .لم أضحك منذ فترة طويلة هكذا، أرجعني إ لى عامين سابقين، كنت متشوقة لأراه، كيف أصبح الآن .. ! وماذا تعني رسالته :"أن تكوني لي خير من

أن أكون لك " ؟ارتديت ملابسي وذهبت لأراه.

حقيقةٌ، أنا كنت قد نسيت شكله تماما، ومحرجة أن أسأل من هو، لكن شابٌوسيما تقدم نحوي، وقال لي:رهف، صحيح؟

–نعم، وأنت تيم ...

–من تيم ؟

–ها أسفه ...

–لقد أمسكت بك، أنت لا تتذكرين هيئتي ؟

–أوه كم أنت ذكي، أسفه حقاً .

–حسناً، فلنجلس، أريد أن أسألك كثيرا...

–حاضر آنستي.

(آنسة ؟!علاقتي مع عمر أنستني أنني فتاة، وأصبحت أكبر من عمري بكثير، حتى الألقاب ما عادت تليق بي، منذ زمن لم يكترث أحد لأمري، لم يمازحني أحد، أو حتى يهتم بالسؤال عني، أما أنت يا تيم قصة أخرى، ما زالت أسئلة كثيرة تدور في ذهني، وأتمنى أن أجد جوابا عنها .)

وأردف : أين شردتِ يا آنسه؟

–تيم، كفى غلاظه.

–حاضر رهف .

-كيف وصلت لي ؟ وما معنى عبارتك تلك ؟ولمَ لم تكشف شخصيتك منذ ذلك الوقت ؟

-رهف، على مهلك، ما بك ؟

-تيم، أرجوك أجبني.

-وصلت لك من الصحيفة التي تنشرين بها، هاتفت الاستعلامات وأخبروني بعنوان منزلك، أما عبارتي، كانت فقط ؛ لإيقاعك في الحيرة من أمرك، ونوعا من (الأكشن) فقط، وأما لِمَ أكشف شخصيتي ، فذلكَ لأرى أنك ما زلت تلك الفتاة العنيدة المغرورة أم لا.

-ها،وماذا اكتشفت؟

-اكتشفت أنك ما زلت عنيدة ومغرورة وعصبية مثلما كنت .

-شكرا تيم، شكرا لاهتمامك وذوقك، شكرا لأنك أدخلت الحيرة إلي حياتي، كانت مملة جدا، شكرا لك...

-لا تشكريني، بل اشكري بطني الذي قمتِ بوعده، بأن تطعميه المسخن.

–ها، ما أغلظك ... حسنا، سأصنعه لك، هذا وعد ...

في ذلك الوقت الذي كنت أجلس أنا وتيم، مرّ عمر من أمامي، نظر لي نظرة وكأنني مذنبة، وارتكب جرماً عظيما،فتقدم نحوي قائلا : رهف، كيف حالك ؟

أجبته : بخير .. .

–تيم، أعرفك، عمر رئيسي بالصحيفة.

حينها تجهم وجه عمر، وقال لي : رئيسك بالمجلة؟!

قلت : وابن عمي ...

قال تيم :تشرفنا عمر، ويا لك من محظوظ بأن رهف تنشر في مجلتك،فهي رائعة.

عمر، أنانيّ، رغم كل الآلام التي سببها لي، لم يكتف بعد ! رغم أنه هجرني ليذهب إلى أخرى، يريدني أن أبقى على أطلاله وله فقط !يريد أن يراني مكسورة لفراقه، وأبكي عليه ! .

قال عمر :نعم، هي رائعة .

قال تيم :رهف أريد الانصراف، فلديّ عمل مهم،سنلتقي مجدداً ، ولا تنسي أمر المسخن.

–حسناً تيم، إلى اللقاء، فرصة سعيدة .

ذهب تيم، وبقينا أنا وعمر سويا، لم ألتق به منذ زمن، وياالهذه الصدفة العجيبة ! .

–وضعك جميل، وجدت رفيقا بسرعة .

–عمر، ماذا تقول أنت؟

–لا شيء، أريد الانصراف وداعا.

–وداعا.

كم أنت مغرور وأناني ! !رغم كل الذي فعلته بي، ما زلت تعكر مزاجي، وحياتي .

اتصل بي عمر في اليوم التالي، أخبرني أنه يريد أن نلتقي للمرة الأخيرة . –عمر كيف سنلتقي في هذا الجو البارد،والوقت متأخر ؟!

–رهف، أريد مقابلتك الآن..!

–حسنا.

أتذكر جيدا تلك الليلة العاصفة التي جمعتني بك للمرة الأخيرة .. أتذكر كيف كانت نظراتك قاسية ... وكم عاتبتني حينها .. كان المطر يهطل بشدة، وأنا أرتجف ليس بردا لكن ألما منك، كنت تصرخ بي دون أن تسمح لي أن أبرر أي شيء، تركتني مهملة، وخائفة، ووحيدة، وذهبت ! صرخت بصوت عالٍ عمر ! "أنت أناني .. أنت لا تفكر سوى بنفسك، تركتني، ويجب أن أرى حياتي ،لكنك ما اكترثت " .اختلط المطر بدمعي، واسودت عيناي من اللكح ل، كم أكره تلك الليلة !! حينها اكتشفت أنني كما عشتُ وحدي، الآن يجب أن أتقبل حياتي بدونك، والآن يجب أن أنسى غزلك ،وغرامك الزائف، وتلك الأكاذيب التي نسجتها لي..

في اليوم التالي، دق هاتفي الساعة السابعة صباحا .يا إلهي من هذا المجنون الذي أصبح يحلم بي ؟! أمسكت هاتفي .. وإذ به تيم، فضحكت حينها .. " حقا إنه غريب " !.

–صباح الورد والفل والياسمين.

–صباح العسل، كم أنا محظوظة بهذا الصباح.

-كيف حالك عزيزتي؟

-بخير عزيزي، وأنت؟

-أفضل منك بكثير .

-ها، دوم الخير لك صديقي.

-رهف، سوف نلتقي اليوم صحيح .

-حسنا، سنلتقي ...

-أريد أن تريني فلسطين .

-حسنا، سنتجول في هذا اليوم .

وأقفلت الهاتف، كم كنت بحاجة لاتصال منك يا تيم ! كان الألم يفتك بي كثيرا، حتى أنّه يحول بيني وبين سعادتي .كيف تظهر لي في أوقات أحتاج لأحدهم فيها حقا ! أشكر الله ؛لأنك الآن في حياتي .فجأة أسمع صوت مزمار السيارة، أنظر من نافذتي، وإذ به تيم .. .

-رهف، أسرعي، أصبح الوقت ظهراً!

-مجنون يا تيم، أخفض صوتك !

–حسنا، حسنا .. انزلي بسرعة.

ضحكت حينها بشدة منه،حقا ما عدت أستطيع أن أتوقع أي تصرف منه، دائما يبهرني في تصرفاته الغامضة، وفي كل مرة أعرف عنه أشياء لم أعرفها من قبل، حقا أصبحت أخاف التورط فيه ! و عندما نزلت إليه ...

–رهف، انزعي نظارتك الشمسية،فعيناك جميلتان جدا.

–لا بأس صديقي هكذا أفضل .

–هل يوجد خطب ما ؟

–لا، لا شيء فقط أحب ارتداءهما .

–لكنني أشعر بأن شيئا قد أزعجك، أرجوك انزعيهما.

وعندما نزعتهما،رأى عيناي المنفوختين، فسأل : رهف، هل بكيتِ طوال الليل ؟

–لا، فقط لم أنم جيدا الليلة ؟

–ألا تثقين بي ؟ أخبريني ما بك ؟

–تيم أرجوك، لا أريد الكلام دعنا ننطلق في جولتنا، سأخبرك لاحقا .

–حسنا صديقتي، لئما تريدين .

كان تيم يعلم وجعي قبل أن أدركه أنا، غالبا ما كان يحلل مزاجي جيدا، في الوقت الذي أحاول إقناع نفسي بأنني جيدة جدا، كان هو يعلم أنني لست بخير أبدا، كنت أعشق كيف يستطيع أن ينتزعني من مزاجي العكر ذاك، وكيف يجعلني أبتسم وأنا في أقصى درجات حزني .لكن كيف سأخبرك عن خيبة عمر ،وأنئيضا رجل، وقد تخذلني يوما ما، فتصبح خيبتي بالرجال خيبتين ؟! .

في نابلس .. خان وبلدة قديمة،في إحدى مداخله ستشتم رائحة السمك التي تصيبني بالغثيان مع أنني أحبه وبشدة، وما إن تتقدم قليلا حتى ترى دكاكين قديمة، يبيع أحدهم الزلابية، وآخر الطمرية، وتلك الأكلات التي نسبوها لنابلس فقط .في الخان عالم آخر يحاصرك، وكأنك لا تريد الخروج منه أبدا، أشخاص بسطاء، أصوات تتعالى، تحف خشبية، يقولون أن الأسعار فيه أرخص من الخارج، مع أنني كنت أرى بأنه أثمن من كل شيء .في كل مرة أزوره كنت أتجول به كطفلة سعيدة بالدمى الجديدة التي قد أحضرتها أمها من السوق.

بدأت جولتنا سويا في مدينة نابلس، أخبرني أنه يريد أن يتذوق الكنافة النابلسية،وقلت له حينها : أنت لا تفكر سوى في بطنك ! . أجابني : وهل شيء سينفعني سواه؟

فقلت له :سأطعمك كنافة لم تذق مثلها في حياتك، من عند حلويات الأقصى...

–إذا فلتأخذيني هناك ...

ما إن وصلنا إلى المحل حتّى رأينا كيف يصطف الناس بالخارج لتذوق الكنافة، تعجب تيم من المشهد وقال : أرى بأنه مشهور كثيرا .. حتى الأجانب يأتون إليه ! .فأنظر إليه، وأقول :أظن بأنه رمز من رموز نابلس، فالكنافة في هذا المحل ليست قطعة تتذوقها لتضيف لفمك القليل من المذاق الحلو الممزوج بالجبن، إنّما هيَ الحياة، والذاكرة،والعشق. ...

فينظر تيم باستغراب : هل سبق وأتيت مع حبيبك هنا ؟!

فأفتح فمي قائلة : ها ! قلت حبيبي !

–نعم حبيبك، أيعقل بأن فتاة بجمالك لم يحبها شاب قط ..

حينها شعرت بأن قلبي يُعتصَر ألماً..ماذا تفعل بي يا تيم ! أي جمال وأي شاب ؟! .. الذي أحببته فهجرني وذهب لأخرى ... !

يقول لي: أين شردتِ !

أنظر له : لا حبيب ولا بطيخ عندي ... شو بدي بالحب أصلا هو وجعة راس ...

ويقول :ورئيسك بالمجلة ألا تحبينه !

–تيم كيف عرفت ؟

–عيناكِ ....لا أحد يستطيع أن يخفي شعاع الحب الذي يظهر من عينيه حينما يلتقي بأحد يحبه، لا أحد يستطيع أن يتنزع عينيه حينها أو ينظر الى شيء أخر ...

إن العيون هي من تكشف الحب، هي من تجردنا من أكاذيبنا، ومن تجعلنا نعترف أمام كل من يحدق بهما بأننا نحب وبشدة رغم الصراع الذي نخوضه مع ألسننا، لا نحب وفقط ! ..

فأحاول أن أغيّر الموضوع قائلة : لا أعلم أنك محلل للعيون ! دعنا من هذه السيرة ولندخل لنأكل الكنافة .

يقول : حسنا سأقفل على الموضوع وآسف إذا قمت بمضايقتك ..

أقول : لا بأس ...

جلسنا حينها نأكل الكنافة ..

–رهف، افتحي فمك أريد إطعامك.

–ها، حسنا.

–هم، كم هي لذيذة.

–تيم ؟

–ما بك ؟ هل ظننت أنني سأطعمك حصتي !! غليظ ! .

–لست أغلظ منك .

ضحكت حينها بصوت مرتفع فأخذ الجميع ينظر لنا .كان التصرف غير لائق في هذا المكان العام، لكنني حقا اشتقت لسماع صدى ضحكتي ... منذ زمن لم أضحك في مكان عام، لطالما كان عمر يقيدني في تصرفاتي ...

ارتباطي برجل يكبرني كان يخيفني حقا! لثت أخاف الضحك بصوت عال .. وأخاف أي تصرف يجعله يحكم أنني طفلة.كنت غالبا أحاول إظهار أنني امرأة ناضجة، فعمر لا يروق له الأطفال .

–رهف، أين شردت مجددا؟

–معك .

–حسنا، انهي صحنك بسرعة أريد أن نكمل رحلتنا.

–لقد أنهيته .

بعدما انتهينا من تناول الكنافة، سرنا أنا وتيم في نابلس القديمة، وكان معجبا جدا بالأسواق الشعبية .. لم يخطر في ذهني أن رجلا مثل تيم سيعشق هذه البساطة، فجأةً توقف عند بائع للورود، وقال :هل لديك ورود بجمال هذه الأنثى؟

–أصبحت أنظر من حولي، عمن يتكلم هذا ؟

أرجع رأسه نحوي،وقال: أتكلم عنك يا (هبلة) .وهل يوجد جميلة سواك هنا ؟

–آوه تيم، شكرا كم أنت رائع .

كان تيم يؤمن بلغة الورود .كانت كل زهرة تعني له شيئا، فقد منحني أربع وردات : حمراء، وصفراء، وبيضاء، وبنفسجية .ثمّ نظر في عيناي، وقال : رهف، أتعلمين معنى هذه الورود؟

أجبته : أعلم أن الأحمر، يعبر عن الحب .. والأصفر عن الغيرة ... والأبيض عن النقاء.أما البنفسجية ،فلا أعلم ماذا تعني !

قال لي :غير صحيح !هذه معتقدات شائعة ... ها، خاطئة .

قل لي: ماذا تقصد بهذا ؟

–لغة الورود كالماء، شديدة الشفافية وسائلة .تأخذ ألوان ما توضع بها، ويقيدها شكل الإناء الذي يحتويها ، فتختلف من شخص لآخر في مراده ا ... قد تهدى لمريض يرقد في المستشفى ؛حتى تدخل البهجة إلى قلبه .وقد تهدى ورود حمراء من عاشق لعشيقته ؛حتى يبوح عن حبه .. لكن حينما تهدى بين شخصين لا يجمعهما شيء سوى الصداقة

قد تكون حبًا أو أملاً، أو سعادةً، أو حزناً ...

–غامض أنت .

–أنا، لماذا عزيزتي ؟

–في كل مرة أعلم فيكَ أمورا لم يخطر في ذهني أن تتفوه بها أبدا !

–لماذا ؟ هل لأنني عشت كل حياتي في الغرب ؟

–كنت أشعر أن كل من يفارق الوطن، سيفارق عادته وتقاليده، وحتى أنه سينسلخ من عروبته يوما ما، ولم يتبادر إلى ذهني أنني سأرى فلسطينيا ولد في أمريكا يحوي هذه

الكلمات في قلبه، ولا حتى تلك المشاعر النبيلة.

–هل أعد هذا الكلام مجاملة ومدحا لفخامتي ؟!

–أعدّهُ غلاظه .

–فلنكمل جولتنا صديقتي.

–حسنا، فلنذهب ل مدينة بيت لحم، ستعجبك كثيرا !بيت لحم، من المدن الرائعة في وطني، سترق لك شوارعها الجميلة، وتشعر بدفء يحتويك ... دعنا نرى أجمل الأماكن بها .

لكن أن تكون في فلسطين، ولا تمرّ على الحواجز هذا شيء مستحيل، إن أردت الذهاب إلى أي مكان، سترى عبارات مكتوب عليه، توقف حاجز للتفتيش، وكأنها أوطان صغيرة بداخل الوطن، ما أن تعبر أحدهم، حتى تجد نقطة التفتيش الأخرى بانتظارك، أن تكون فلسطينيّ، فهذا يعني بأنك ستمر على عنّاب، وقلنديا، وزعترا، وأسماء أخرى لا تعلم لمَ أسموها هكذا، وبينما نحن في الطريق إلى بيت لحم صادفنا حاجزا على الطريق، بدا على وجه تيم الخوف قليلا، ينظر إليّ ويسألني :هذا الوقت الذي تنتظرين به على الحاجز ماذا تفعلين ؟

فأقول :أي وقت ؟

عزيزتي مضى على وقوفنا هنا ربع ساعة، ألا تكرهين الانتظار ....

أضحك ساخرة : ربع ساعة على حاجز بداخل السيارة هذا النعيم، بجانب الحواجز الأخرى، عزيزي هل جربت الذهاب إلى القدس ؟

يقول لي :نعم، لم أواجه صعوبة كبيرة ....

قُلت له : ما تحمله من جنسية أمريكية شفيعة لك !

يسأل متعجباً :وما الشفيع في ذلك ؟

عزيزي إن أردت الذهاب إلى القدس هنالك أكثر من طريق، إن كنت في طولكرم، ستواجه أصعب حاجز قد يمرّ عليك، إن المرور من ذلك الممر الذي يدعى "المعاطة " أشبه بمسلخ، هو الألم بحد ذاته، فيه غرف ضيقة كثيرة، كل غرفة يوجد بها تسع أشخاص على الأقل، يحيط بك الجنود، وأحدهم يحمل سلاحه ومستعد دائما لأن يقتل من ينظر إليه، وإن كنت محظوظ ستمر عن المعبر بعد نصف ساعة على الأقل من التفتيش، والإهانة، ستشعر بأنك مذلول في وطنك، غريب وضائع، وتحتاج لأن تصل إلى هناك الكثير من الرحمة ! والدعاء ....

أمّا عن قلنديا، فهو حكاية أخرى، هنالك يجب أن تعلم متى موعد ذهاب العمال إلى الدولة المحتلة، فلا تؤخرهم عن عملهم، وتذهب بعدهم، لكيّ لا تصطف قراب الساعة والنصف على الأقل، ستدخل غرفة، بها نوافذ، تصطف خلف جموع كبيرة، لا أستطيع أن اصف تلك الأشياء التي تدور لتدخل للجهة المقابلة للتفتيش، تضع حقيبتك مكان التفتيش، وتحمل هويتك الفلسطينية وبجانبها تصريح قد قدمه لك المحتل ! على هذه النافذة لا تكفيك هويّتك وحدها، التصريح من يسمح لك بالمرور، أيوجد أصعب من أن ترى وطنك مقسم هكذا، وأنك تحتاج لورقة ملوثة ببضع الحروف العبرية لتصل إلى مرادك ....

مرّ الوقت ونحن نتحدث وها هو قد جاء دورنا ....

لم يعتد تيم على رؤية الحواجز تلك، كان هناك جنود كثيرون،وعجوز يبدو عليه الإرهاق يقومون بضربه بعنف ، أراد تيم النزول، قلت له : أرجوك يا تيم،لا تنزل أخاف عليك ! !

نظر إلى وقال : لكن قد يكون هذا الرجل والدي ! ! ماذا يا رهف ؟! هل تقبلين رؤية والدك هكذا ؟! !

قلت : لا، لكن اعتدنا على هذه المظاهر ..

–أنتِ اعتدتِ،أما أنا فلا زالت عروبتي تحرقني !

نزل تيم من السيارة، وذهب إلى الجنود، وبدأ يتحدث معهم اللغة الانجليزية .

–ماذا تفعل ؟

كانت كل الأسلحة تتجه صوبه، إ لا حينما رفع لهم الجنسية الأمريكية، مع بطاقة الصحافة أنزل جميع الجنود أسلحتهم، ليس خوفا منه، لكنه كان غاضبا جدا . وبد ؤوا يتحدثون، وقعت مشاجرة

كبيرة بينهم، كان تيم يصرخ وحده، وهم يصرخون إلى أن استطاع أن ينقذ ذلك الرجل الكبير.

"كم تعجبني أنت يا تيم، هذه الرجولة التي لطالما بحثت عنها، لكن لمَ جئت في الوقت الضائع ؟! "

غالبا بعد خيبة في الحب، نفقد جميع أحاسيسنا تجاه أي أحد من الجنس الآخر،وقد تموت كل مشاعرنا، وعادة ما نلتقي بالشخص الصحيح في الوقت غير الصحيح .قد نخسر فرحة كبيرة في حياتنا من أجل خيبة أحدهم، وها أنا ألتقي اليوم برجل لطالما حلمت بأن أمتلك مثله، لكنني لا أشعر بأي شيء تجاهه، لعلني أصبحت أخاف الاقتراب من الحب بعد فشلي لأول مرة .

وأثناء عودتنا في الطريق، تحدثنا، فسألته مازحة : شاب وسيم مثلك، أيعقل أنه لم يرتبط بفتاة إلى اليوم؟

نظر إليّ وقال : كنت على معرفة بفتاة، عشقتها وعشقتني، ووددت أن تكون زوجتي لكن لم تكن نصيبي .

-أخبرني ماذا حدث ؟

–عزيزتي، أحببت فتاة إلى درجة الجنون، كنت أحارب جميع من حولي لأجلها ،ووهبتها ثقتي وقلبي وكل شيء، وجعلتها تعيش أجمل قصة حب، لكنها خانت عهدي وخانتني .

–ها، قامت بخيانتك لماذا ؟

–وجدت شخصاً في نظرها أفضل مني .

–هل ما زلت تتحدث معها إلى الآن ؟

يقول لي :بالتأكيد لا ...

فأقول له : جميعكم تكذبون نفس الكذبة، بأنكم عشقتم أحداهن وقامت بخيانتكم، لكن من خيّب ظن جميع نساء العالم البائسات، أيعقل بأنهم رجال من كوكب أخر ...

فينظر إليّ :أيعقل بأن حبيبك قد هجرك، من أجل أخرى، وبأنك أحدى البائسات ...

(تيم أنت تشد على جرحي، ِلم تتقصد أن تعيديني لعمر، أريد نسيانه وفقط ...)

فأنظر إليه، وأقول : بل أنا من تلك النساء اللواتي يخيبن ظن الرجال، فأنا من تكسر هاماتهم، ومن تكسر قلبها ...

–أأعتبر ذلك تهديداً ... ؟

–اعتبره ما شئت ...! وكفاكم نعتا للنساء بالخائنات، فلولا شعور الأنثى بالنقص في

رجولتكم، وخيبتها بكم، لما ذهبت لآخر ...!

–ولم كل هذا الحقد يا رهف، إن هذا العالم الظالم، يحوي الكثير من الرجال، من كسر الحب قلبهم، ومن كسرة قلب، أصبحوا ضحايا لإناث أخرى، يلتقون بهن، فيحطمون قلوبهن، لكن ذلك كله بسبب أخرى لا يوجد رجل يحطم قلب حبه الأول، لأنه ما إن يدخل هذا العالم، حتى يتورط حد التعب بأنثاه، وما إن تهجره حتى يبحث عنها في كل امرأة تأتي بعدها، فتخيب ظنه هيَ،ويحطم قلبها هو، وهكذا يُنعت الرجال بالخائنين، وتنعت النساء بضحايا الحب لكن المعادلة بسيطة .... (جرح أنثى سابق + أنثى لمحاولة أن ينسى السابقة = جرح التالية)

(وتسير هذه المعادلة إلى اللانهاية أو الزواج .) .

–هذا يعني بأنك لن تحب بعد خيبتك تلك ؟

فيقول لي: إن أحبتني فتاة مثلك، سأحبها بصدق، ما رأيك بأن تحبيني !

فأعتبرها مزحة منه وأضحك قائلة :كفاك مزحا ...!

كنت أشعر بحب تيم لي، لكنه لم يبح بذلك، حتى آخر يوم التقينا به، كنت أشعر بأنه يريد أن يقول كلمات، لكنه رجل غامض، يخفي ما بداخله ببراعة تامة .وانتهت زيارة تيم، وعاد إلي وطنه، وعمر أيضا غادر الوطن، وأنا بقيت وحيدة هنا، مع أحلامي وآلامي. أجلس في شرفتي، وأبحث في عيون المارة، يا ترى هل هؤلاء قد كسر الحب قلبهم مثلي؟أم كانوا أكثر حظا مني ولم يعلموا الحب يوما ؟!أم أنهم من سببوا الجرح للآخر ؟! أحاول أن أجد نظرات كنظرات عيوني تلك، نظرات ملأتها خيبة رجل، أو نظرة حنين، واشتياق، وافتقاد إلى ذكريات قد تواعدنا معها .

تدق الساعة الثالثة عصرا .هذا كان موعدي مع الحب، في كل يوم من تلك الساعة، تأتيني مكالمة هاتفية منه، لكن اليوم تدق كثيرا، دون أي ضجيج من هاتفي .من يوم رحيلك يا عمر،كل شيء من حولي سلبت الحياة منه، حتى هاتفي، ومرآتي، ودقات ساعتي التي أستطيع أن أوقن أ نها أصبحت تخجل من أن تدق في تلك الساعة المشؤومة. ومرت الأيام، وإذ بي أتلقى بطاقة دعوة لفرح، لكن هذه لم تكن دعوة عادية، كان فرح عمر وريما .كانت تلك بمثابة بطاقة العزاء لي، تدق على بابي ؛لتقنعني بخيبة الحبيب والصديقة تلك .ها هي .. الشاهد ة

على خيانتهما .أستطيع أن أعلقها و أضعها بإطار، أو حتى أستطيع رميها في سلة المهملات .. كما أنني كنت أشاء أن القي بعمر وريما سويا،أوأن أحرقها وأصنع من رمادها مسحوقا لقلبي المحترق ! لكنني أمسكتها وحفظت الموعد تماما .

لم أكن ساقطة كتلك، وأنت لم تكن من الرجال الذين يبحثون عن الجسد، لم تضغط علي يوما ،لكي أ عطيك شيئا مني، ولم تطلب أن ترى شيئا غير مباح لك، لم أشعر للحظة أنك كنت تعشقني جسدا،لقد كنت تعاملني طفلتك الصغيرة المدللة، التي تخاف عليها حتى من دميتها .ربما هجرتني ؛لأنك لم تستطع أن تكمل عشقك لروحي، ربما رجولتك الشرقية، وأفكارك الغربية تعارضتا سويا فغفلت عن مرادك في أنثاك، لعل تلك الساقطة وهبتك جسدها وكل شيء تريده .. لكنني كنت بريئة أسذج من أن أفكر في تلك الأمور التي ما زلت أعتقد أنها للكبار.

عاهدتني على أن تقتل تلك الساذجة التي ستسلبك مني، وعاهدتني على أن تبقى بجانبي، لكن .. ها هو القدر يفرق بيننا، وأنا غارقة في عهودك وأكاذيبك، ضاحكةً على نفسي كيف أعُ دُّكَ سيد الرجال

وأضرب على قلبي ! ! كيف أعشق رجلا مثلك ! ! وأرحل بأحلامي إلى أبعد الخيال ! لكنني مؤخرا اكتشفت أنك رجل في زمن كثرت به النساء،وأنني أنثى في زمن قلت به الإناث، و أنّ كيدهنَّ كان أعظم من حبي لك،فلنتزعك كانتزاع السهم من قلبي ورحلت.

الفصل السابع " الألم "

حينما التقيت بك لأول مرة، كنت أجزم بأنني أنثى لن تعشق رجلا يوما ما، لكن الله إذا أحب عبد ابتلاه وابتليت بك .

أعلم بأنك ستفتح فمك حينما تقرأ هذه الكلمات ..هذه المرة الأولى التي أقولها بأنك "بلوة"

أتذكر حينما سافرت للمرة الأولى،كم كنت بلهاء حينما مرت ثلاث ليال لم تكلمني بها...وكأنني لم أحدثك باليوم الرابع، فاعتذرت بأ نّك مشغول بأعمالك، ، فعذرتك...وحينما أتى يوم ميلادي ...أذكر بأنك أخر شخص قد قام بمعايدتي ، ولولا تلك المعايدات الفيسبوكية لما تذكرت ، وأذكر في إحدى الليالي، حاولت مكالمتك ليلا وأنا في قمة حاجتي إليك،وأنت تعلم بأنني أنام مبكرا كان خطك مشغولاً مع أخرى....

حاولت تجاهل هذا وأكملت نومي...وأذكر بأنني لم أكتب يوما لرجل خيبته،وبأنني كنت خيبة لكل رجل حاول أن يتلاعب بمشاعر أنثى....واليوم أكتب إليك باختصار لأنك "لم تكن"

دق جرس الإنذار...

وحالة هلع حلّت بلمكان، والكل يجري بسرعة.

يأتي إليّ يوسف ويخبرني: أسرعي بالخروج إن بقيتِ سوف تموتين حرقا

لم أكن اسمع ما يدور حولي.كنت أبحث عنك بينهم!أعلم انك هنا ... موجود في مكان ما...وأعلم بأنك غارق بعملك ولعلك لم تسمع جرس الإنذار!بدأت أركض بسرعة متوجهة إلى مكتبك ...وكأنني سفينة تبحر عكس التيار يوقفني كل من في المكان لكنني ما اكترثت ، واستمررت بالركض متّجهةً لمكتبك، وحينما وصلت ... لم أجدك !!

دق هاتفي وأيقظتني صديقتي : ألا زلت نائمة إلى الآن !! أنظر بدهشة كأنني لم أفق من الحلم بعد .فأخبرها : ماذا ألم تحترق الشركة ؟!

-عن أي حريق تتحدثين أنت ؟

-اليوم هو موعد زفاف عمر ألا تنوين حضوره ؟

أدركت للتو بأنني قد أفقت من حلمي، وبأنك قدري المهلك الذي أسير إليه، أيقنت بأن الحلم لم يكن عبثاً وفي حين كان الكل ينجو منك،

كنت أركض إليك!وهاأنت تذهب للأخرى وتتركني أحترق لوحدي ... يا ليتني أكملت حلمي واحترقت أنت ... !

نهضت حينها، ارتديت أجمل ملابسي، ووضعت القليل من أحمر الشفاه، واحتسيت كوبا من القهوة على الشرفة .اليوم هو الموعد المحدد لزفافنا سويا، بدأت أتخيل نفسي معك، كم ستظهر أنيق ا ببدلتك البيضاء، فأنت لا يروق لك اللون الأسود، ولطالما قلت لي بأنك سترتدي بدله بيضاء، وأنا سأرتدي فستان زفاف أبيض وقصير، ك ما يروق لك أنت.أتذكر جيدا الأغنية التي اخترناها سويا لرقصة (السلو)،حيث كانت (أتحدى العالم)، كان وعدك لي بأن نكون اليوم سويا، وأن تقلني الساعة الثانية عشرة لصالون التجميل، لكن ها هي الساعة الثانية عشرة دقّت ولم تأتِ .ربّما ذهبت إلى الأخرى لتقلها،أتشوق كثيرا لرؤيتك اليوم، ولرؤية من ستزف بجانبك .أنا لست محبطة، ولست حزينة لفراقك، لكن ما يؤلمني، أنك ستحاسب على عهدك .." بأنني لك وبأنك لي".

كنت غالبا ما أحاول إظهار قوتي،ولكنني كنت ضعيفة، أضعف من أن أقف ذلك الموقف،لكنه لم يكن لدي أي خيار .حاولت تماسك نفسي، وتقبل رؤيته مع أخرى، أو حتى إدخالها برأسي غصبا لا طوعا .حاولت التظاهر بالابتسامة، وأنني سعيدة لأجله، وأنني لا أحبه، ولا أكترث لوؤية أنثى أخرى تزف له .كنت شبه مدركة لما يدور حولي، كان صوت الموسيقى رومانسي ا جدا، يسيران على سجادة الحياة، ليدخلا قفصهما الذهبي .وأنا كنت أقف محدقة بهم ا،وأشعر بدوار .أتتني صديقتي، سألتني: هل أنت بخير يا رهف ؟أجبتها : بخير ، بخير .قالت لي : أرجوك اذهبي من هنا، أشعر بك .في تلك اللحظات التي كانت تحاول مواساتي بها كنت أفكر، أي جرأة تمتلك يا عمر حتى تقوم بدعوتي إلى فرحك؟هل تعمّدت جعلي أراك مع أخرى غيري حتى أقتنع أنك لا تحبني ؟ لماذا تجرحني هكذا ؟ أصبح التقبل أصعب بكثير، في ذلك الوقت عندما قارب الفرح على الانتهاء اقتربت من العروسين لأهنئهما، لكنني رأيته، قد تهيأ لي .إنني معه في ذلك الموقف، كان يجب أن أكون أنا، أنا من تحبك، أنا من أحببت،لما ذا يفرق القدر بيننا؟ لماذا أراك مع أخرى لا تشبهك ؟!وحتى صعب أن أقتنع أن تلك الأنانية قادرة على حبك ! أصبح الدوار يزداد،للحظة ما،

استيقظت ومن حولي الناس، كنت ملقاة على الأرض، وصديقتي تمسك يدي، وتقول لي : أرجوك استيقظي يا رهف ! .سألتهم بهمس: ماذا حصل ؟أدركت للحظة أنني عندما اقتربت منهما أصابني الإ غماء، حاولت لملمة ما تبقى مني ووقفت، فباركت لهم ا،وطلبت سيارة أجرة تقلني للبيت .كانت نظراته غريبة جدا، تلك النظرات التي لم أعتد عليها، كان ينظر إلي بقسوة، كأنني عدو .كان مجيئي إلى فرحه غير متوقع، كأنه استيقظ ! إن الفتاة التي تحبه حاولت أن تقف لتهنئه بفرحه، لكنها وقعت للتو، ووقعت أمامه ! كانت ملقاة على الأرض، لكنه لم يكترث لها، لأن ملاكه بجانبه الآن .

خطفت أحلامَنا أعمارُنا، تداركتنا الأيام ولم نعِ حقيقتها إلا مؤخراً ، سلبت طموحنا، ولم تبق لنا سوى ذكريات مؤلمة أو سعيدة، كلاهما بقيا بالذاكرة، ومثلها يخطف الموت أحبابنا، أنت خطفت قلبي ، وذاكرتي وحتى أحلامي .أينما أذهب أراك طيفا يلاحقني، ويرفض الاقتراب مني، وأراك نورا، كلما اقتربت منه أغمض عيناي، وأحسبه شيطانا أتعوذ منه فيختفي، لكنني تعوذت منك كثيراً فسكنت قلبي أكثر.

كم بيتا قد بنينا سويا ! وها هي تلك الحمقاء تسلب كل شيء مني، وتعيش معك .هي ليست أنا، وأنت أنت، لكن شتان ما بين أنا وهي، ولن تعلم الفرق بيننا، إلا عندما تهجرك في مرضك، وضعفك، وفقرك، وفي لحظة تُهزم بها .هي ليست ساذجة مثلي.

عندما وصلت إلى بيتي، اتصلت بي سيرين؛ لتطمئن علي، وسألتني: كيف حالك الآن؟

أجبتها: قولي كيف ستصبحين غدا ؟أريد أن أنام .

قالت: أرجوك لا تهلكي نفسك بالتفكير .

أجبتها : حسنا، شكرا .

ولا أعلم كيف مرت تلك الليلة ؟ كان شعوري بالألم يزداد مع كل لحظة، أتذكر رؤيتهما سويا، كان أشبه بكابوس، وأريد إنهاءه لكنني لم استطع، كنت أهمس باسمه مرارا وتكرارا، هلوسة تجول عقلي، وكلمات عجزت أن أقولها، كان باستطاعتي أن أصرخ حينها و أخبره بأنني أحبه،أحبه، أحبه، لكن من يستحق منك الوفاء يا رهف ؟ من يستحق كل هذا الحب منك؟

من زرع في قلبك معنى العطاء، ها هو يأخذ كل شيء منك ويرحل، لم يكن سوى عثرة كبيرة في حياتك، أرجوك تماسكي، تخطيت أزمات أكثر، كنت أخاطب نفسي، وألومها على حبي له، لكن دموعي لأول مرة لم تنهار، كنت أنادي : أمي فتاتك الصغيرة، لم تكبر بعد، أرجوك، أنا بحاجتك، أرجوك لا تتركيني بوحدتي .كان كل من حولي يقلقني، صوت الساعة يزعجني، فرميها على الأرض غضبا، و لا أعلم كيف نمت تلك الليلة ؟

يا إلهي! إنها الساعة الواحدة بعد الظهر، كيف نمت لهذا الوقت ؟لماذا لم أستيقظ ؟! غالبا من يتألم كثيرا، ينام كثيرا، وأنا تخطيتُ مرحلة الألم، أصبحت الألم نفسه ! أنظر إلى نفسي، وألومها، وأخاطبها، وأعاتبها، وأضرب على قلبي، وأقول له : لماذا ؟!لماذا أنت تضعفني دائما؟...ألوم نفسي على ما حدث تلك الليلة مع أنه ليس ذنبي، أنا بحاجة إلى أحد بجانبي يشعرني بالأمان، أحد يمسك يدي، ويقول : لن أتخلى عنك .أنا كنت بحاجة هذا الشخص كثيرا، لكن كيف سأستطيع أن أثق بأحدهم ثانية، وأن أهب قلبي لرجل مرة ثانية، كيف سأستطيع تخطي تلك الأزمات؟

–من سيحضر العشاء اليوم.

–لست أنا، أكيد.

–ولا أنا.

–إذا فلنتبع الرجيم القاسي، ولننم دون عشاء.

–استمعي إلى معدتي.

–معدتك كبيرة، ككرشك تماما.

–حبيبتي، أنا جائع.

–وأنا لست جائعة.

–حبيبتي اصنعي لي العشاء، وسألبي أمنية لك.

–لا،لن أحضره، لديك يدين،قم بتحضيره.

–إذا أنت طالق.

–وأنت مخلوع.

هكذا كانت كلماتنا، كانت مستقبلا بنياناه سويا، وحاضر ا يحاصرنا الآن .كنت الأنثى الشرسة، وأنت الرجل المسالم لكن كل شيء تغير الآن ! عد يا حبيبي، سأصنع لك العشاء والغداء سويا، عد لي .. وسأفعل كل شيء لك .عد كما كنت، فخيبتي بك أعقد من صنع العشاء .. أنت من حاربت عالمي لأجله، وأنت من قلت عنه غير ما قلته عن الباقين، وأنت فارس أحلامي على حصانه الأبيض، ولكنك الآن لست سوى عقبة في حياتي، فيا ليت الماضي يعود يوما، لأبدل كلامي حينها !فلتدع زوجتك تصنع لك العشاء.

اتصل بي تيم، يا إلهي كم كنت بحاجة لاتصال منك يا تيم ،خاصة في هذا الوقت،أجبته: آلو صباح الخير . فردّ: أي صباح ؟! الدنيا ليل. قلت له: لا ما زال الوقت ظهرا.

تيم، كيف نسيت أمرك أنت غالبا ما تهتم لأمري، غالبا ما كنت تفاجئني، أنت من وقف بجانبي مرارا وتكرارا، أنت من لم يمل من حكايتي وآلامي، كيف أبكي على رجل آلمني،وأنت بجانبي، كيف نسيت كل هذا يا تيم ! لكنني الآن، أخاف أنتقبلك في حياتي كردّة

فعل على الخيبة التي تعرضت لها، لا أريدك الرجل الذي تحبه الأنثى هروبا من آخر، فأنت لا تستحق إلا أنثى تعشقك كما تعشقها.

من بعد سفر تيم، تقربنا لبعضنا كثيرا .كنت طوال اليوم أحادثة على (الفايبر، واتس أب، فيسبوك)،كانت محادثتنا يمل ؤها الكثير من السذاجة، أي شيء يضحكنا، ونعلق لبعضٍ تعليقات سخيفة، يغضب حينما يرى أحدهم يعجب بتعليق لي، وأعاتبه حينما أراه يتغزل بفتاه، كنا عاشقين حقيقيين،لكن لم يبح أي منا بالحب للآخر،

سألته يوما : هل تؤمن بأن الحب على الإنترنت واقع؟

أجابني : لا، لا أؤمن بهذه السخافات أبدا.

-أنعتها بسخافات ؟!

-نعم عزيزتي، فالحب على موقع وهمي هو واقع وهمي .

-وكيف هذا ؟

-أستطيع أن أملأ هذه المحادثات بكلمات العشق الزائفة، وأقنعك بأنني مغرم بك، دون أدنى شعور بالحب نحوك .

–ها، لا أحد يستطيع فعل هذا .

–أتريدين أن تدخلي هذه التجربة؟

–مع من ؟

–معي أنا،أنت تعلمين أنني لا أحبك، وأنا أعلم انك لا تحبيني لذا فلنلعب دور العاشقين.

–هههههههه يا إلهي، وكيف ستصير أمورنا هكذا؟

–سنسيرها كيفما نريد.

–حسنا عزيزي .

أصبحت أتذكر نفسي قبل بضع سنين، وأنا أحاول إقناع سيرين بأن الحب على الانترنت وهميّ، ماذا دعت صديقتي حينها ؟وأي صلاة قامت برفعها لي لكي أتورط بهذا الحب ...؟!

مرّ وقت طويل على سيرين، وها هي قد أبدلت كل قناعتها، وتقول لي : لا تثقي برجل، ولا تحبي رجلا .قلت لها :بعد ماذا ؟! تورطت وانتهى الأمر ! وها أنا ادفع ثمن دعاءك عليّ ! .فترفع يديها،

وتقول: اللهم أبعد عنها كل شر ومكروه .كيف تبدلت قناعات صديقتي من الحب إلى الكره ؟ وأصبحت تنعته بالشر !

هل يكسر الحب الأنثى الى هذا الحد ؟ وهل لهو رجل في حياتها يحرّمها اللهو مع آخر طيلة عمرها ؟ هل ستفضل أن تبقى عانساً كما يقولون على أن تتورط مرة أخرى بشبه رجل ؟ أي رجل أنت ! عمر أم تيم ؟ أم أنا التي أريد التمرد على واقعي الآن لأثبت لسيرين بأن الحب ليس كذلك البالون الذي كنا نلهو به وما إن يفجره أحدهم، حتى يستحيل العودة مجددا لنا، ولا نعود حتى ننفخ بالوناً آخراً مكانه ؟.

مواقع التواصل الاجتماعي، تلك الحروف الإلكترونية التي زادتنا قربنا لمن نشتاق لهم، وقتلت تلك النظرة الساحرة بين العاشقين، كم مفرح أن نرى من نحب وقد أبعدتهم المسافات كأنهم بجوارنا ! وكم مؤلم أننا لا نستطيع سوى منحهم مشاعر إلكترونية كفيلة بالرحيل عند مغادرتنا هذا العالم !أيعقل أن تلك المواقع التي زادتنا قربا مع أحبابنا هيَ سبب شقاء الحب في وقتنا الراهن ؟! أم أن مشاعرنا هي التي باتت أبرد من تلك الحروف التي نرسلها يوميا ؟! أو ربّما حتى الحب أصبح مجاملة في وطني!

.

الفصل الثامن " حب افتراضيّ"

مر عام على فراقي أنا وعمر ،وعلى استقالتي من العمل معه، حاولت جاهدة أن أنساه،

الكلام نفسه في اللحظة ذاتها.بحت لك بكلمات لم أبح لنفسي تمنيت لمرة أن ألتقي فيه صدفة لأرى ما حل به .

ويا للقدر الّذي

دبّر لنا لقاءً مجددا .لم أكن أعلم أنه سيكون بهذ ا الحال، كان رجلا ضعيفا يبدو تثاقل الهموم عليه، وما إن وصلت إلى بيتي، حتى قمت بوضع منشور على حائطي الشخصيّ في الفيسبوك، كان هذا المنشور إهداءً له :

ها أنت اليوم تخسر كل شيء .. أراك منهارا أمام أحلامك المتحطمة إلى أشلاء أمامك .. وأراك رجلا أضاع عمره، لكنه خسره في لحظة ما، كم كنت أنتظر تلك اللحظة التي ستجمعني بك صدفة ، كم من صورة قد نسجتها في خيالي حينها، كيف ستبدو، وهل ستكون مع تلك الحمقاء ؟ وهل ستكون ممسك ة بيد شبه رجل مثلك؟ لكن لم يتهيأ لي أنني سأراك منهارا هكذا، دون أي زوجة، ولا ولد، ولا رفيق ! رأيتك تائها على أرصفة الطريق، كم كان ميعادي معك سيئا،كموعد مع زخات مطر

تشرينية تهطل دون سابق إنذار، وأنت لا ترتدي معطفيقيك المطر، ولا تملك مظلة تحمي بها نفسك ! ! لم أعلم لمَ انهارت دموعي

عليك،مع أنني كنت أود رؤيتك هكذا ! ولم يتبادر في ذهني أبدا أ نك ستكون وحيدا إلى هذا الحد.

وما إن نشرته حتى أتاني تيم يسألني : لمن هذه الكلمات ؟.فأخبرته أنني التقيت بعمر اليوم .

–هل ما زلت تحبينه ؟

–لا، لا تيم أنا لا أحبه، لكن لم أتوقع أن أراه هكذا.

–لكنك ما زلت تكتبين له .

–كلمات خطرت في ذهني فقط .

أجابني تيم :آه لو أستطع أن أهديك ضمادة لجرحك .

أجبته : أهدني بضعا من كلمات الحب، اشتقت لها ضحك حينها، وقال لي: حسنا .

في هذه الليلة قرر تيم أن يمنح لقلبي المكسور البعض من الحب والأمان، أخذنا موعدا مع الحب." سوف أحبك لمدة ثلاثة أيام، تمتعي بكل كلمة تودين قولها"،كان هذا الحب مختلف ا عن حب باقي البشر، فالحب في وطني أسطورة مقوج بالرحيل، لكن دون أي موعد محدد له، يتورطون به ويرسمون آمالا وأحلاما إلى أبعد الحدود، وقد يبني العاشقانِ بيتا سويا ليقطنا به .أما حبنا يا تيم، كان بموعد مسب قٍ مع الرحيل،أتساءل الآن: هل رحيلك سيكون خيبة حب بالنسبة لي ؟ أم خيبتي ستكون أنني لن أستطع أن أحتفظ بك إلى ما بعد مسرحيتنا تلك؟

آه يا تيم، لو تعلم أنني تورطت بك، حتى مشاعري باتت لك .لو تعلم أن كل كلمة بحت لك بها كانت من قلبي وعلى حق .لو تعلم أنني ما كنت ألعب دور جولييت في مسرحيتك تلك، بل كنت رهف على حقيقتها المجردة، دون أية تمثيلية قد حبكناها سويا .أود الاعتراف بأنني لا أريد منك الرحيل، وأنني حقا أحببتك كما لم تحب امرأة من قبل .

كان موعدنا الأول في الخامس من شهر يناير، أجدت تمثيل العاشق الولهان .تحدثنا كثيرا، وكان يتخلل كلماتنا حب كبير لم يجمع أي عاشقين .تكلمنا بها يوما ما!

–حبيبي أحبك كثيرا.

أجبتني :وأنا أحبك أكثر.

كنت تلك التي تريد أن تعيش اللحظة، فأبعدت عن ذهني فكرة أن حبنا هذا سينتهي بعد بضعة أيام، وأهديتني أغنية شمس، وأنا أهديتك أغنية (كارول سماحة قلبي حاسس ليه)، كانت كلمات الأغاني تحوي المعاني نفسها، لكن بصياغة أخرى ، كأننا وددنا الاعتراف بشيء يجول في خاطرنا .بدأت تهتم بي كثيرا ..

–رهف، أين أنت؟أين ذهبت؟حبيبتي .. روحي .. ملاكي..حوريتي..

كل تلك الكلمات التي وهبتها لي دون أي مقابل كنت أجيبك عليها بح بيبي .. وملاكي.. وسر سعادتي .. وحياتي.

عاشقان متمردان على الحب، يريدان العيش مع موعد مسبق للرحيل، لعل خيبتي بعمر جعلتني أدخل تلك المسرحية ؛لأكون أولَ مرةٍ البطلة

التي تعرف انتهاء مسرحيتها قبل بدئها ، لم تشأ النوم حتى تستمع لأنفاس صوتي يومها، فاتصلت بي، وتحادثنا .طرحتُ سؤالا عليك : يتيم، هل إن أحببتك سترحل؟

–أجبتني الحب لا يكون سوى من طرفين.

–وماذا إن أحببتني أنت؟

–ها، كيف أحبك على الهاتف ؟

حينها ذرفت الدمع من عينيي دون إرادتي، لو رأيت كيف تجهم وجهي حينها،لما أجبتني هذا الجواب ! لو رأيت كيف اللؤلؤ يخرج من صدفته باستفزاز طبيعي ؛ ليمنح لؤلؤة حقيقة لما أنزلت دمعتي تلك ! أخذت شهيقا ولم أكمل الزفير حتى قطعت نفسي .وقلت لي : أين ذهبت يا حبيبتي؟

وكأن حبيبتي كانت الزفير بالنسبة لي.لم أعلم حقا لو لم تقل لي هذه الكلمة، هل كنت سأكمل زفيري دون أن ينقطع نفسي إلى الأبد؟

–حبيبي غلب علي النوم .

–فلتأتي لتنامي بجواري.

–لا حبيبي، أريد أن أنام على صدرك، على ذلك الجزء الأيسر منه، وأستمع لموسيقاي المفضلة قبل النوم .. أستمع لدقات قلبك.

–آه يا حبيبتي ما أجملك! سألعب بشعرك وأهمس في أذنيك "أحبك "، فأغمضي عينيك جميلتي.

أغلقتهما كأنك تراقبني من بعيد، فطبعت تلك القبلة على وج نتي وقلت: أحبك يا ملائي.آه يا تيم ، كيف سأقتنع بأنك تمثل بعد كل هذه التفاصيل ؟! كيف سأقتنع بواقعي ؟! أريد أن أبقى بهذا الوهم يا صديقي .وانتهت محادثتنا .

سنتكلم غدا بموعد جديد مع الحب .وها أنا أقوم بوضع إشارة على أول موعد للحب بيننا.تبقى يومان حتى أرى ماذا سيكون مصيري بعدك .ما أصعب أن تعلم الأنثى أن هذا الرجل الذي وضعت أحلامها بين يديه، فقط لاه مع البنات، وأنه لا يعلم بالحب مذهبا، حتى أنه يحب فتاة فيسلب ما يريد منها ومن ثم يذهب.

تلك المحادثة في ليلتنا الثانية كشفت الكثير من الأمور عنك يا تيم .

–تيم، أتعلم أن الحب في مجتمعي لا يرحم الإناث .. وكلمتك كثيرا.لكن بدأت ألَحُ كيف كنت تتهرّب من كلماتي.

"سأتزوج بالصيف " .

فرددت : لا يليق بك الحب .ابتعدي عنه.تغيرت نبرة صوتك .لم تكن ذلك الذي يغازلني قبل قليل.آه يا تيم ! وأنت أيضا شبه رجل.

وأتى اليوم دوني، دون أن تكلمني، أو حتى ترسل لي " مساء الخير " التي اعتدت أن يبدأ ليلي بها، ربّما وجدت جميلة تملأ وقتك، و ربّما صلاحياتي معك انتهت منذ البارحة .كم كنت أتألم وأخاف من تلك الأغاني الموجودة على صفحتك ! هل يا ترى دخلْتَ لعبة جديدة مع أخرى؟ ترسل لها هذه الأغاني والكلمات ! آه يا وجعي !! آه كم

أصبحت أفقد الثقة بمن حولي ! أنت من أراد التقرب مني، ولست أنا .أنت من أراد أن يوقع بي، ولم أشأ إلا أن أرفعك إلى السمو الذاتي .آه يا تيم لا يعقل أنك ستحقق لي خيبة الصديق الأخرى .شبهة في الحب شبهتني، حتى أنني عجزت عن إدراك الأمر ما بين رجل وامرأة، وما بين أنثى وشبه رجل .. شبهة ! لمن هذه الأغنية ؟ أنا، لكن في شكل ثان ؟! وأغنية حبك عذاب .. ؟ في كل ليلة كنت على يقين بأن الأغاني تلك كانت مهداة لي فقط ؟

أي حب هذا الذي تقع به أنثى لتملأ فراغ خذلان شبه رجل آخر، أتذكر حينما التقينا صدفة في مطار الملكة علياء، كنت حينها م نزعجة لعدم إتمام أموري بسرعة، و تعبةٌ من الإجراءات القاتلة، فتقدمت نحوي، وعرضت أن تقوم بمساعدتي.شكرتك كثيرا، وللقدر لعبة أن يجمعنا في طائرة سويا، وحتى في الدرجة نفسها، تحدثنا كثيرا، لكن .. لم يكن يُهَيّأ لي أنك ستكون قدري المؤلم لاحقا ، أو حتى تلك الصدفة التي جعلتني أفتح تلك الرسالة بعد فترة طويلة.

اليوم قررت الرحيل عن نفسي، وقررت أ ن أخرج من قوقعة غرامه الزائف، فطلبت منه الرحيل وحرقت جميع رسائلنا، و أغلقت هاتفي المحمول، جرحت يدي جروحا عديدة كي أنساه! وفي كل مرة أنوي الرجوع إليه، أرى جروحي فأبتعد، هذه المرة لن أضعف،لن أعود أنثى ضعيفة،مستسلمة لحبه .سأكون لنفسي فقط، ولن أقع في حب زائف بعد الآن،ولن أعلق نفسي بأوهام رجل .سأحقق أحلامي بإرادتي، وطموحي،وأهدافي .

أحبك اليوم ...

وقد أمسي على كرهك ...

وأنام على بغضك...

وأعد نفسي بأنني لن أكلمك أبدا !

سأغادر هذه المهزلة ..

لكنني سأصحو مسنة في الثمانين من عمرها ..

قد سلب (الزهايمر) ما تبقى من عقلها ..

كأنني لم أعد نفسي البتة ..

وكأنك لم تجرح قلبي يوما ..

أتجه إليكَ ...

وأقترب

وأهمس بأنني أحبك، وأنك عالمي ..

لكن سرعان ما توقظني بقسوتك تلك ..

وتصفعني بحبك الزائف ...

فأصير قطة ضائعة في حي للملوك ..

ليس لها مأوى، ولا حتى وطن تعيش به ..

كلمات نسجتها على سطوري، في دمع أصعب من أن أفسّره الآن .كنت معك ضائعة لا أعلم إن كان رحيلك سيسعدني، أو سيزيدني ضعفا وبؤسا.

كان تيم من أولئك الرجال، الّذين لا يغفرون لأنفسهم زلات حبيبة لهم، فيحملون ذنب أي رجل تعرفه بعدهم، تراهم يلاحقون تفاصيل حياتها، يحاولون تصحيح اعوجاج تصرفاته ا، لعلهم يريدون أن يرضوا كبريائهم، أو أنهم يخافون خسران حلم جميل رافقهم لسنوات عديدة .بعضهم قد يوقع أنثاه في حيرة من أمرها، لا يريد الاقتراب ولا الابتعاد، يخاف اقترابه الّذي يشعل في ذاكرته آلامه، ويخاف الابتعاد حتّى لا تصبح الفتاة فريسة لأشباه الرجال بعده .قليلون هم من يحاولون حماية أنثاهم من الضياع، وكثيرون من يلقون بها إلى الهلاك.

عزيزتي، إن كان قرارك العشق يوما اسألي نفسك " هل تستطيعين الوقوف بعده أم أنك ستشلين تماما عن التفكير حتى تصبحين فريسة لأشباه الرجال؟ "

كما يتمرد البحر على عشّاقه، كما تقتل الفريسة الصياد، كما يموت الطفل قبل أمه، هو كان التمرد والفريسة والموت في ا لوقت ذاته .على يقين أنني متيمة به، وأنني لن أتجاوز عشقه، وأنني عاشقة مراهقة، أغُرمت بابن الجيران الذي لم أرَ ه حتّى الآن .كنت أخاف أن أقع في شراكِه لكنني ألقيت نفسي إليها، محاولة إثبات أنني لا أكره أولئك الذين يدعون أنفسهم رجال، وأنني لست نرجسية .حاولت إثبات أن الحب أكذوبة ،فوقعت به دون أن أعلم أن حكايت نا أصبحت أكبر أكذوبة.

اليوم حاولت أن تعود لتحادثني، كأنك لم تجرحني ولم يحدث شيء .كنت تمازحني، وتقول لي :حبيبتي

أهديتني أغنية (حاج ة مستخبية)، كم أسعدتني في تلك الساعات القليلة التي حادثتني بها، وكأنني نسيت تماما أنك من قام ب إنزال دمعي البارحة، ونسيت أنك من جعلني أفقد شهيتي للنوم .سألتك باستغراب : بيم هل تحبني ؟!

أجبتني : وكيف لا أحب أجمل ملاك ؟!

–ها، ملاك، أنا ! لكنك البارحة جرحتني ! .

-آسف حبيبتي.

في تلك اللحظة قطع اتصال الإنترنت بيننا، كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل،فوضعت رأسي على وسادتي لأنام .كنت أبكي .لماذا أنا من تتورط دائما ؟ لماذا عندما أريد أن أنساك تقترب مني أكثر ؟ لما ذا عندما أحاول الاقتراب تبتعد ؟! كنت أضرب على قلبي، وأبكي، وأشهق بين كل كلمة وكلمة، وكأن تلك الروح تخرج مني، وفجأة دق هاتفي ! لم يخطر في ذهني أنك ستحادثني في تلك الليلة .همست لي : هل تعلمين من يتكلم معك؟

أجبتك : نعم.

قلت لي: أحدهم معجب بك كثيرا، وها هو يكلمك.

كنت أبكي، وغير قادرة على قول أي كلام .

فتابعت : رهف، أنا أحبك ولا أحب أن أراك حزينة ! أرجوك لا تحزني فأنت أجمل شيء في حياتي ! أرجوك سامحيني !! .

أجبتك :تحبني تمثيلية ليس أكثر !

قلت لي: أنا أحبك فعلا ووددت أن أبوح لك بهذا كثيرا، هل تحبينني أنت ؟

لأول مرة أكذب عليك، وأجبتك : لا، لا أشعر بأي شيئا اتجاهك، أنت لست سوى صديق لي .لقد صدمتك كلماتي حينها، كنت تعتقد أنني مغرمة بك، لكنني لن أعيد الكرة مع عمر مرة ثانية، فأنت وهو تشبهان بعضكما كثيرا، وحتى أنني بدأت أراك نسخة منه، لن أوقع قلبي بحفرة الحب! حتى وإن كنت أحبك، سأبتعد عن مشاعري،وسأجعل الأيام حكما بيننا ...

قلت لي: كاذبة يا رهف، أنتي تحبينني وبشدة، وأنا أحبك، وستكونين لي وأكون لك!

ضحكت حينها وقلت: إن شاء الله .

وغزلت لي كلاما كثيرا، لكن كأنه أصابك فقد للذاكرة في الصباح، حتى عدت إلى قسوتك تلك، وكأنك لم تقل لي شيئا،حادثتك فأجبتني بأنك مشغول.ابتعدت قليلا لأعلم إن كنت تحبني حقا أم لا، لكن ك لم تسأل عني ولو ليوم واحد، ولم ترسل للاطمئنان على صحتي .آلمتني حقا، فكيف لك بأن تنسى عهدك في تلك الليلة ؟حادثتك في المساء ،فقلت لي

:رهف، أنا اشعر أنني ملك لك، وكأنك تريدين أن أكلمك طوال الليل،ولا افعل شيئا سوى محادثتك.

أجبتك : لكن أنت من كنت تحب الحديث معي، أنت من كان يسامرني طوال الليل،ويعتب علي في حين لم أحادثته.قلت لي : كان هو فعل ماض ناقص، وأنا الآن لا أريد أن أشغل وقتي بالتفاهات .

–هل حديثك معي تفاهة ؟!

–لا صديقتي،لكن أنا لا أحب الجلوس على الإنترنت لفترة طويلة .

–حسنا، إلى اللقاء.

–إلى اللقاء صديقتي.

كم خذلتني حينها ! وها أنا أعود إلى نقطة البداية قبل النهاية حينما خذلني عمر لأول مرة ،ظننت أنني لن أحب أحدا ليخذلني ثانية، لكنني تورطت بك دون أن أعلم .أيقنت اليوم أنني لست أنثاك، كنت غالبا ما أخبرك تفاصيلي الصغيرة، حتى تلك التي ما بحت بها لنفسي يوما ما .كان اهتمامي بتفاصيلك كثيراً،ولا أذكر يوما بأنك سألتني إن كنتُ سعيدة أم حزينة ! كنت أود الاقتراب منك، في حين أنك تبتعد

كثيرا، حتى أنني أصبحت أخاف التورط بك، فغدوت قطة تمسك أطفالها بفمها خوفا من هربهم، وكتمت في قلبي أحاسيسي الصادقة نحوك، وتواعدت مع الفقدانَ.قمت بحجز درجة أولى من النسيان،فقط لأبوح لها بما يحتويه صدري من حب وكره لك .غالبا ما أزعجت كبريائي، وأيقظت الأنوثة المتمردة في قلبي، وفي حين أقرر الابتعاد كنت تقترب أكثر، لكن لعبة المسافة كانت الفاصل بيننا .. لكل فعل ردة فعل مساوية له بالمقدار ومعاكسة له بالاتجاه .كان حبي لك الفعل وما كنت سوى ردة فعل لكبرياء رجولتك، تحاول إبعادي دائما، وحينما أبتعد تقترب لي أكثر... حادثتك الليلة بنوع من الكبرياء المصطنع، قلت لك بأنه من المستحيل أن أعشق رجلا مثلك،أخبرتك بأنني ما زلت أحب عمر وأنني لن أنساه،حاولت لملمة القليل من بقايا كبريائي الذي ذهب معك هباءً،فأخبرتني: لو أكملت لعبتك لعشقتك، وأحببتك مباشرة دون تفكير.إنني أناقض نفسي كثيرا، نعم يا تيم، أناقضها كثيرا، كيف لأنثى قد تجاوزت خيبتها بالرج ال عددهم في هذا الكون بأن تثق برجل ثانية، وأن تصدق كلامه ؟

في مجتمعي يعشق الرجل أنثى جميلة، لكنه يقوم بوضعها على رفه حتى يجد أنثى أجمل فتكمله.كنت أنت من أولئك الرجال الفا رغين

عاطفيا،من يريدون (دمية باربي) ؛ليرتبطوا بها ارتباط ا أبديا، حتى يقولوا أنظرو ا ما أجمل زوجته ! كنت رجلا ينقصك الكثير من الرجولة، وتخاف التورط مع أنثى حقيقية فتضعفك .اعترفت لنفسك بأنك مريض بالجمال، وأنك لا تريد سوى امرأة خارقة الجمال أخبرتني بأنني جميلة، لكنك وجدت أخرى أجمل بكثير .

اليوم قررت الابتعاد عن تيم، و قررت أن أمنح نفسي فرصة لأعلم مشاعري نحوه جيدا .وليعلم إن كان يحبني أم لا، فقلت لنفسي : إن كان يحبني سيبحث عني ليجدني، ويخبرني بذلك ! وإن لم يكن، سنلتقي وكأن شيئا لم يحدث يوما ! .ومر شهران لم يحادثني تيم ولو لمرة واحدة فيهما، كان قلبي يعتصر ألما! ليس عليه تماما، لكن كنت ألوم ذاتي ؛لأنني أنا من تتعلق بسرعة، أنا من تحب، ومن تثق، ومن تهب قلبها للرجال .

الفصل التاسع: اعترافات إلى تيم

الرجال أنواع وللنساء نوع واحد ...

هنالك رجل ما إن تلتقِ به الأنثى حتى يأخذ كل شيء يريده منها، لن تثق به طوال حياته، ستبقى تفكر كيف أحبها من أول لقاء بينهما وستلعن نفسها كثيرا كيف تنازلت من أجله، أنه من يتقن دور العاشق بجدارة ويحلف بأن جميع فتيات الكون ليسو سوى صديقات أو أخوات . ما أن تحاول الوثوق به حتى تقع في دوامة الشك التي تصنعها أفعاله في كل مرة، مرة أخرى، فيحلف لها مجددا بأنه يحبها، ولكنها لن تثق به أبدا، ستبتعد كثيرا عنه وستكون الأقرب إليه، هي وحدها تعلم بأنه ليس مناسب لها وأنه ليس سوى لاه في حياتها .

أما عن الآخر سوف تلتقين برجل ينسيكِ جميع رجال العالم، تثقين به وتحبينه، تفين له بوعودك، ويفي لك بذلك، سيعاتبك كثيرا، يغار كثيرا، ويجيد اقتحام حياتك وأخذ ما يريد بإرادتك .

سيحبك كما لم يحب أحد من قبله، وما إن تخسرينه، ستشعرين كم هم الرجال ذكور من بعده ستقسمين حينها بأنك لن تعشقِ أحد غيره مجددا، إلى أن تلتقِ بآخر، تكونين زوجة له، ويكون عاشق لأخرى !

أم عن النساء، سوف تلتق بامرأة ليس لها شبيه، تجيد التمرد والغرور والكبرياء، تتصنع الحب والكراهية بالوقت ذاته، تقتحم حياتك بالأنانية المطلقة، وتريد أن تكون كل شيء لك، أحداهن سوف تعبث بحياتك، وتحطم أمالك وأحلامك، لكن يبقى للنساء نوع واحد، وقلب ذو قشرة خارجية صلبة، بداخله بلورة من الزجاج، ما أن تخدش تلك القشرة، حتى يسهل تحطيم ما بداخله، وحينها ستخدش الزجاجات الآخرين .

وهنالك نوع النساء من يجدن تجاوز الألم... ما إن تراهن يقعن في حفرة الحزن تلك التي عادة ما تتراقص حولها النساء.. إلا وخرجت منها وهي تجزم على أنها لم تدخلها قط... هنالك أنثى تعشق الفرح ،لا تحتاج لمديح أحدهم لها، ولا لأن يقول لها جميلة،تنظر إلى نفسها كل صباح وتقول :أنا جميلة كيفما أكون، تُخفي بداخلها جميع الآلام، وتبتسم لكل ما حولها . لكن لا أعلم أي نوع من النساء أنا ؟!

اليوم سأقسم لله بأنني لن أحبك بصدق، لن أهبك شيء لا تستحقه، لكنني سابقا أقسمت القسم ذاته، وصمت ثلاث أيام.

ماذا تفعل بي، كيف تأخذني بين ذراعيك كفراشة تهرب من الظلام إلى مصيدة النور تلك .فما إن تصل إليها حتى تصعقها، فتموت .

أتريدني مثلها، أم أصبحت أنا هيّ .

في إحدى الليالي الصيفية كنت أخبرك عن أحدهم يريد خطبتي..

أجبتني في عجلة وافقي!

ها أوافق.. على غيرك.. لكنك حبيبي!

حبيبك لكن أريد سعادتك.. أعلم كل شيء تشعرين به..

لكنني أحبك!

أنا لا أحبك.. أكرهكِ..

لا! أنت تحبني.. لا تكذب!

قلت لي حينها: أحبك وأريدك مع غيري.

لم أعلم أي إحساسٍ تملكني حينها، أي دمعة تساقطت من عيني، وذلك الألم الذي علق في حنجرتي فأصمتني عن الحديث معك.

أصبحت تنادي باسمي.. أين أنتِ؟

لم أجبك، لم أستطع أن أظهر صوتي إلا حين قلت: حبيبتي؟ شعرت وكأن كل الألم خرج بها..

أجبتك حبيبي حبيبي حبيبي وأعدتها عشرين مرة دون أي تعبٍ أو كلل!

قلت لي: أحبك، لكن أخبري والدتك بأنك موافقةٌ على العريس! وأقفلت هاتفك..

وعدت لحفلة الدموع تلك وشتم النصيب ذلك، أي نصيبٍ سيبعدني عنك! فقط لأنك ترى سعادتي مع غيرك..

وهل تعلم أن النار التي تحرقنا هي سعادة من لا مأوى لهم لكن أنت وطني، ولا يحق لغيرك الاقتراب مني.. أحبك!

وبعد هذا الكلام شعرت بأن كل شيء معك كان وهم وفقط...

إن أصعب ما يدور في ذهني الآن، الأوهام والشك، أخاف كثيرا من فكرة الرحيل والابتعاد،بعد كل انكساراتي أنا أكثر جبنا من ذلك، لكنني لطالما قلت لك : أريد الابتعاد ووددت كثيرا لو أستطيع أن انهي

علاقتنا كيفما أنظر إلى عينيك وأنهيها، لكن في كل مرة تدير ظهرك لي، أعود إلى بيتي مكسورة الجناحين، أحادثك، متضرعة للّه بأن تحادثني بحب.. ونعود سويا !

بما أن علاقتنا انتهت، ولم يعد شيء بيننا، دعني أعترف لك بشيء وليشهد الجميع عليه، حينما التقيت بك أول مرة، لم أكن أحبك، ولم تكن نظراتي سوى إعجاب قليل باهتمامك لا أكثر، حينما أصرّيت على أن نشرب من كأس العصير ذاته، كنت أعلم بأنك تريد تقبيلي، لكن لم يقبلني أحدهم من قبل،ولن أدعك تفعل هذا، وما إن قبلتني حتى شعرت بالاشمئزاز والرغبة بالتقيؤ .

لم أكن أريد أن تكمل هذا معي، وددت لو أخذ كل شيء وأنصرف ولا أعود مجددا، لكنك أمسكت بيدي وأخذتني إلى تلك الغرفة اللعينة . شعرت بأنك تريد استغلالي، وبأن رجل يحب فتاة بصدق لن يفعل هذا معها أمام الجميع، ما إن اقتربت مني لاحتضاني،حتى هطلت دموعي، شعرت برغبة بأن احتضنك كثيرا،وكأنك العالم بالنسبة لي، رغبت باحتوائك واحتوائي، همست لك أحبك ...

ومنذ تلك اللحظة بدأ الحب بيننا، لكنه سرعان ما تبدلت مشاعري منذ اللقاء الثاني، حينما قبلتني أمام الجميع، ولم أرى منك سوى نظرات الرغبة التي تريد إشباعها بفتاة تعلم جيدا بأنها لن تضرك يوما، شعرت حينها بالكره ليس أكثر!

كيف لك بأن تقبلني أمام الجميع، أن لا تخاف أن يراني أحدهم وأنا معك، فيعلم بأنني فتاة ليست جيدة !

لكنني لطالما كنت جيدة وجدا، ولم أفعل هذا من قبل .

وحينما أصبحت أذهب للعمل كل يوم لكي أراك وقلة حديثك معي واتصالاتك السريعة، زادتني تأكيد من أنك لست مناسب لي!

فغدوت أبحث عن أي شيء يجعلني أبقى معك .وأجعل قلبي يهجرك للأبد.

حينما كنت تقف بجانبي، كنت أشعر بأن هذا الكون صغير جدا، كون اختصرته في عينيك وفقط، كنت أقف محدقة بك كطفلة تنظر إلى عربة بائع الحلوى في سوق للخضار، وكأنه الفسحة الوحيدة لها لكي تبتعد عن كل هذه الفوضى لتأخذ قطعة من الحلوى،كنت أشعر بنظرات

الخوف تملأ عينيك، حقيقة أنا لا أثق بك، أعلم بأن تلك الساعات التي تتأخر فيها عند قدومك لرؤيتي هي دقائق تقضيها مع أخرى ولعلك تقول لها ذات الكلام الذي تحدثني به

"حبيبتي كيف حالك "

فتجيبك هي : بخير فلتذهب لعملك ...

وتأتي إلي بعجلة وارتباك، ما إن أراك حتى أنسى قسمي ونفسي ومبادئي .

أعلم بأن لصديقتي نظرة في الآخرين لكنها ليست كنظرتي البريئة للأمور، ما زلت أشعر بأن هذا الكون مليء بالأشخاص الطيبين .وأنك أحد منهم .

أمّا عن انتظارك، لطالما جلست على كرسي خشبي، يبتعد قليل عن غرفة اجتماعاتك،أنتظر تلك اللحظة التي تتقاطع عيناي مع عينيك، يحيط بي الكثير من العصافير التي أحسدها على حريتها ومقابلي ملعب فارغ من اللاعبين، فأشعر بأنني جزء من تلك اللعبة التي لم تبدأ بعد، تسير أمامي قطة وأنظر إليها بحذر، فأنت تعلم جيدا أنني أخاف القطط

كثيرا، بجانبي تجلس فتاة بجوارها حبيبها، وكان الصراخ يعلو بينهما...

فتحادثه : قلت لك لم أحدث غيرك ...

فيجيبها بغضب : لكنك نظرتِ له ..

فأحسدها على غيرته تلك وأعلم بأنه لم يأخذ ما يريده منها بعد .

أحدق طويلا في كل الأمور من حولي، يمر شريط ذكرياتي أمامي، لتقاطعه حمامة تسير بجانبي ثم تحلق فوق رأسي، وكأنها تناديني، لمّ تحصرين نفسك به، ما دمت تستطيعين أن تحلقي بعيدة جدا عنه .

فأقرر بأن أحلق بعيدة عنك، وأن جلوسي على المقعد ذلك ليس فقط سوى انتظار لصديقتي .

صديقتي لا تحبني ولا تقلق بشأني، أو تحبني لكن ليس مثلما أحبها، غالبا ما كنت أبحث عن أمور تسعدها، أحاول تفسير تصرفاتها على أنها طبيعية، لكن في كل مرة تخذلني وتبتعد فأشعر بالرغبة بمغادرة هذا العالم القاسي، عالم أعيش به في كل مرة دور البطلة المظلومة فأجد بأنني الظالمة لنفسي والمقصرة بحقها، أعلم بأن هذا العالم لن يقف

لمجرد أنني أبكي ليلا، ويؤلمني رأسي بالتفكير كثيرا، أعلم جيدا بأنها لن تتوقف عجلات الزمان لتأخذني لعالم آخر

وحينما كنت أكتب هذه الكلمات قاطعتني أنت ...

وقلت لي: ماذا تكتبين ...

أجبتك : لا شيء

وكيف لا شيء ؟

أكتب ما يدور في ذهني وفقط ..

فأرى ابتسامتك وتقول لي :أتكتبين على ورقة ؟؟؟

أجيبك : بل أكتب لخيبتك ..

فتدير ظهرك لي، وتأتي صديقتي لتحاول تفسير نظراتي الغريبة تلك ..

وتقول : " يلا ننزل عالبلد "

فأغلق دفتري، أضعه في حقيبتي، أقسم بأنني لن أكتب لخيبتك ثانية، وأحب صديقتي مجددا، وأسير معها .

أشعر كثيرا بالرغبة بالبكاء من اللاشيء، مواقف حزينة تمر أمام ناظريّ لتأخذني إلى عالم آخر

أريد خلع جميع عاداتي السابقة بما فيها الأشخاص اللذين أحبهم، صديقاتي، وكل شخص بُحت له بألمي يوما، لكي لا يهجرني،

فيهجرني ويزرع فيّ الرغبة بأن أتخلى عن كل شيء حتى نفسي .

لا أحبك، بل أخافك، فأنت رجل سلب ما يريد مني وأعلم جيدا بأنك ستشعر بالملل بعد فترة وتذهب لأخرى، أخاف أن أكتب كثيرا عنك فتخونني ذاكرتي يوما، وتعاتبني

من أجل من قد تنازلتِ عن مبادئك!

وحينما أحببتك، ابتعدت عن أمي التي كانت رفيقتي دوماً، وأبي سندي، لأبرهن بأنني كبيرة، والآن ها أنا أدفع ثمن قراراتي الطائشة وحدي، وليس لي الجرأة لمصارحة والدتي، أو بأن أقول لأبي ماذا حل بطفلته!

إنك خطيئتي الأولى والأخيرة، أدعو الله بأن يغفر لي ما فعلت، وأن لا يحاسبني على هذا الوهم الذي وضعت نفسي به، يعلم الله جيدا بأنني

لم أريد أن أقترب منك، ولا أن تقترب مني، الله وحده يعلم كم كنت بريئة قبل تلك اللحظة، وكم من البراءة قد تكسرت بداخلي بعدها .أعلم بأنني لم أخطئ ذلك الخطأ العظيم، إنها قبلة وفقط، لكن هذه بالنسبة لي، ذنب ومعصية، وتحتاج للكثير من الغفران .

حينما تحبين رجل، لا تهبي له شيء لا يستحقه سوى من تعب لأجل أن تكونوا سويا، حدث والدك، وأشهر زواجكما، لا تتنازلي من أجل مسميات الحب، التي غالبا ما تختبئ رغبة الرجال بها، ويقولون بأنك حبيبته، حينما تخسرين أول شيء، في أول ميعاد، ستبقي تخسرين إلى الأبد، ستحرمين نفسك من حب صادق وعائلة جميلة دون الخوف من أن ينظر إليك أحدهم يوما ويقول هذه كانت حبيبتي وكانت تفعل هذا معي، لا تضعي نفسك في دوامة القذارة التي أنت بعفة عنها وتستطيعين أن تعيشِي الأجمل والأجمل مع زوج صادق يعلم جيدا، بأنك عرضه ولن يخوض به قبل أن تكوني زوجته، أحذري عزيزتي من الحب، الذي يضعفك يكسرك ويجعلك تكرهين نفسك وتسألين نفسك، لماذا فعلت هذا معه !

الفصل العاشر " عندما تسقط الشبهات ! "

القلب الذي كسرته حينما لجأ إليك مرة، رأيته البارحة يحاول أن يستند إلى عكازة الوريد، كان الجانب الأيسر منه يرشح دماً، والأيمن يرشح ندماً على حبك، تدفق الدم بسرعة إلى العكازة فسقطت ووقع القلب في حفرة القفص الصدري! أصبح يصرخ يناجي الحلق بأن يفتح الطريق أمامه ليخرجه من هذه الفوهة لكن الحلق لم يستمع له، وبينما أنا أحاول نسيانك كنت أضرب قلبي وأصرخ وأبكي، فنزلت دمعة من عيني إلى القفص الصدري.. فآذابته! تحرر القلب في الداخل، وبدأت أفقد القدرة على الرؤية والسير، فاقتنع أخيراً بأنه يتوجب عليه أن يستنجد بالعقل لينجيني، كان يدرك بأن العقل سيسحقه تماماً، مع ذلك ضحى بنفسه من أجلي.. فمات قلبي، وعشت أنا! اليوم حينما التقيت بك رأيت قلبي بين يديك، لكنني لم أكترث له أكملت سيري، وقلت : لن أحب لن أحب.. لا أحتاجه!

إن أصعب إحساس قد يشعر به أحدهم، هو السماح لشخص ما بأن يتحكم بمزاجه،يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، يشعر بأنه مرتبط به في كل تصرفاته، فكيف إن كان الشخص مزاجي .

هذا العالم مليء بالمزاجيين، من يقتحمون حياتنا، ويقلبونها رأس على عقب .هذا العالم ظالم، مثل ظلمهم لأنفسهم ولنا .

المزاجي يعيش في قوقعة من الأفكار والظلم لنفسه، أي شيء يستطيع تعكير مزاجه .

نصيحة لا تحبي رجلا مزاجيا،ولا تصادقي فتاة مزاجية، لأنّكِ ستكرهين نفسك يوما إن اقتربت كثيرا منهم ! هؤلاء الأشخاص لا يستحقون الحب .لا يستحقون الصداقة، فدعيهم يمارسون مزاجيتهم مع أنفسهم وليس مع البشر .

كان تيم مزاجيا للغاية، يحبني يوم ويكرهني في يوم آخر.لا أبالغ في وصفي لكرهه وحبه! كنت أشعر بذلك جيدا، في يوم أتى

وقال لي: أريد أن أتزوج بك .وكان قبلها بمدّة قد قال لي : أريد أن نفترق ! .

غدوت كدمية بين يديه، يفرحها قليلا، ويبكيها كثيرا، وأصبت بالتلبّد أو التبلد لا أرى فرقا بينهما، لكنهما يصفانِ شعوري وبشدة .أصبحت أضحك كثيرا، لا أبكي إلا بالمناسبات الوطنية، وفقدت شعوري بكل شيء،حتّى ردة فعلي السريعة تلك .في كل مرة كنت أصارح نفسي، أخبرها بأنني لن أخضعها مرة ثانية لمزاجه، وأقسم بأنني لن أبكي في المساء،وما إن يأتي المساء، حتى تصفعني مخدتي على وجهي، وتقول لي : إنه خذلك كثيرا! ألا تستحق أعينك أن تدمع كثيرا وكثيرا عليه، فأقرر الصوم، وأبكي كثيرا .

أصبحت تصرفات تيم غريبة للغاية .أشعر بابتعاده عني، وأحاول الحديث معه مطولا لأعلم ما به .في السابق كان يحاول الاقتراب مني، كأن يقبلني سرقة أو ما شابه، والآن أرى تخوفه جيدا، حتى أنه عادة ما يلغي المواعيد بيني وبينه ! يحاول الهروب من شيء، لا أعلمه، لكن من ماذا ...؟!

بدت عليه علامات التعب، كان وزنه ينخفض بشكل ملموس، وحبوب تملأ بشرته .ما الذي يحدث معك ؟! أرجوك كُل جيدا ! لكنه

يجيبني بأنه فاقد للشهية، ولا يريد أن يأكل شيئا،فأحاول أن أطعمه غصبا، وعادة ما كانت تبوء محاولاتي بالفشل، فأذهب إلى بيتي غاضبة

ذات مساء، أخبرني بأنه يريد أخباري سرّاً يخفيه،فقلت : ماذا ؟! ذهبت لألتقي به، وقبل أن يتفوه بأي شيء .. قال لي : قبل فترة

أقمت علاقة محرمة مع امرأة.. .

فتحتُ فمي متعجبة ! ولم أقل أي كلمة وواصل حديثه ...

قال لي: وأشك بأنه قد انتقل لي المرض !

ذهب ذهني بعيدا، تناقضت الأفكار من حولي، قام بخيانتي ! وما إن قال أنّه مريض،حتى عادت الصورة تكتمل في مخيلتي، ما علاقة

الخيانة بالمرض ؟! لا لا يعقل أنه مرض ....

.ولم أكمل تصوري حتى قالها مجددا : بالتأكيد مرض الايدز .ارتجف جسدي خوفا من كل شيء، من نفَسِهِ حتّى،وأبعدت يدي عنه .أردف قائلاً لي: لا تنتقل العدوى عن طريق النفس .لكنني لم أسحب يدي خوفي من المرض،ولم أفكر به بعد، لكن وقع الخبر كان صدمة بالنسبة

لي . ،فقُمت عن الطاولة، وذهبت للمرحاض تقيأت كل ما احتسيته منذ شهر، وأشعر برغبة بالمزيد من القيء، لكن لم يتبق في معدتي شيء... !

أقف أمام المرآة، وأنظر إلى نفسي فأجدُني متعبةً حد الموت ...! عيناي حمراوان، ومنتفختان، ودامعتان، لكنني لا أريد البكاء .في مثل هذه الحالات البكاء من سيقوم بالمعركة الحقيقية معنا، فهو سيضعفنا أكثر من كل شيء ! قمت بتغسيل وجهي ثلاث مرات علّني أستفيق من حلم، لكن سمعت صوت تيم، وهو يقف بالخارج قائلاً :رهف هل أنتِ بخير ؟!.علقت كلماتي بحنجرتي ولم تصعد، فدق الباب مرة ومرتان وثلاثاً،ولم يكن مني سوى الذهاب إليه وإخباره بأنني جيدة بلا كلمات .فتحت الباب، وكانت نظرات الخوف والقلق تبدو على وجهه، ولم يقل شيئا سوى : دعيني أوصلك إلى بيتك .

–ماذا يا تيم ألا تريد أن توضح لي كل شيء، ألا تريد أن تخرج نفسك من التهمة .

قالها ممازحا أو ربّما كان جاداً : بضع شهور وسوف ترتاحين مني ! الساعة الآن السابعة والنصف مساء، والوقت مبكرٌ جدا على النوم، لكن ما يدور في ذهني، والصداع الذي أعاني منه يشعرني بالرغبة بالنوم

.أمسكت بحبة منوم وقمت بشربها كي أنام .بدأت أشعر بالنعاس، لكن هنالك هاجس في قلبي يمنعني من ذلك، إنه الخوف من الأحلام أو بالمعنى الأصح خوفاً من الكوابيس التي ستلاحقني هذه الليلة ! كيف أصيب تيم بالمرض ؟ أيعقل بأنه انتقل لي ؟ وإذ انتقل لي ماذا سيحدث ؟ ليس هذه سوى البداية، فالنوم مؤلم جدا، لكن ما يحويه قلبي من ألم، لن يشفيه شيء، أريد النوم ...

استيقظت صباحا وأنا أشعر بثقل في رأسي، الدوار والرغبة بالقيء لم يفارقانني .. لقد نمت وقتا طويلا،حتى أنني لم أستطع أن أكمل حديثي مع نفسي.

فكرة رحيل تيم مجددا لوحدها تشعرني بنقص الأكسجين من حولي، كيف وإن مات ! !

حينما قدم تيم إلى فلسطين للمرة الأولى، لم أعلم أنني سأتعلق به كتعلق الروح بالجسد .ما إن غادر حتى غادر قلبي معه، ومن ثم عاد ليخبرني بأنه سيقيم هنا، كاد قلبي أن يسقط فرحاً،وبعد كل شيء كل شيء، يأتي اليوم ليخبرني ذاك الخبر، فأود لو يكون هذا كابوس من المنوم الذي شربته، أو أي شيء .

هاتفته لأطمئن على حاله : تيم كيف حالك ؟

أجابني بصوت يبدو القلق والخوف عليه : جيد، كيف حالك أنتِ ؟

لن أبكي، لن أبكي ! إن بكيت فهذا ضعف واستسلام للقدر .

أجبته، وأنا أحاول كتم صوت بكائي : جيدة، هل ظهرت نتائج الفحوصات ؟

–لم أذهب بعد ...

–لمَ لم تذهب ؟ هل لي بمرافقتك ...؟

صمتّ حينها لدقائق وقال :أنتِ لم تكرهينني بعد !

أجبته : ما يهم الآن صحتك، فدعك مني ؟

–حسنا سأنتظرك أسفل المنزل بعد نصف ساعة .

أقفلت الهاتف وغرقت بموجة الدموع تلك .مشاعري متناقضة، وكل شيء من حولي متناقض .أيجب ان أرحل واتركه لوحده ؟ أم يجب على البقاء ؟! إنّها الشبهة !

وحينما أتى تيم، كانت قدماي تتقدم مرة وتتأخر مرات، خائفة أم ماذا لا أعلم !ولم أصافحه، بل اكتفيت بصعودي للسيارة وذهابي معه .رغم مرضه كان سعيدا لأنني بجانبه، سار في السيارة قليلا، ولم نقطع شارع بيتنا، حتى صرخت به :أوقفها لن أستطيع لن أستطيع ! وأصبت بالانهيار حينها، لم يوقفني، فتح لي باب السيارة وقال: انزلي، لكن لا تعودي مرة أخرى !

ماذا ! ! هو يطلب بأن لا يراني مجددا وكيف سأطمئن على حاله ؟! قلت له بصوت خافت :أرجوك سامحني ..

قال : بل أنا من يتوجب عليه طلب السماح منك، لكن لن أطلبه، أنا لم أخدعك قط،أنا أحبك الى الآن، وما حدث ليس سوى نزوة عابرة، أرجوك لا تنسيني .

ما إنّ نزلت من السيارة، وسرت في الطريق، حتى بدا كل شيء حولي غريبا.هنالك رجل مسن يقف عند عربة لبيع الكعك، ويبدو عليه تعب

السنين،فتقدمت نحوه، وسألته:لمَ الحياة ظالمة بحقنا ؟! لمَ تأخذ كل شيء نحبه ؟! .لم يتعجب المسنُّ من كلامي يبدوأنّني لست الأولى التي يخذلها أحدهم .قال لي: ربّما هِيَ بداية أجمل ! .

وكأن تلك العبارة كانت النجاة بالنسبة لي.الجو بارد للغاية، ويداي لونهم أزرق،أسناني تطقطق من البرد،فيخرج من فمي نفسٌ قادر على صنع غيمة،أشعر بأنني سأقع على الأرض! .ما حدث فعلاً أنني استيقظت والناس من حولي، شعرت للتو بأنني بائعة الكبريت، الّتي ماتت على الرصيف، لقلة الدفء والطعام، ربّما متّ من خيبة الحياة وتيم !

فتحت عينيّ قليلا : أين أنا ؟! .السؤال المعتاد الذي نسمعه في المسلسلات حينما يغمى على أحدهم،لكنني لم أفعل هذا، ووقفت، وهممت بالركض مسرعةً، إلى أين...؟! إلى أي مكان .بعد ربع ساعة من الركض انهار جسدي المتعب، ووقفت لألتقط أنفاسي،ومن ثم مشيت متباطئة نحو المستشفى، أقف مقابلها أحدق بالخارجين منها، تيم لم يخرج بعد... طلب مني بأن لا أراه مجددا، لكنني أريد رؤيته، وما

هي سوى دقائق حتى خرج من المستشفى متثاقلا بالهموم، خافضا رأسه في أوراق يحملها، ولا ينظر من حوله أبدا،أول شيء خطر في ذهني أنها نتائج الفحوصات، وأنّه تأكد من إصابته بالمرض،فبكيت كثيرا كثيرا، وما إن ابتعد عن المستشفى حتى ذهبت إلى هناك، أريد أن أعمل فحوصات .فكلمة الإيدز مخيفة حقا، وتخلق من حولي الكثير من الشبهات ؟! –علاقة محرمة أو ما شابه !

قلت:فحص دم عاديّ .

أتممت الفحوصات بسرعة، وجلست أنتظر النتيجة، لحظات الانتظار سنين كافية على أن تميت كل شيء بداخلنا، كم من المؤلم أن تنتظر نتيجة الموت .

بعد نصف ساعة أخبرتني الممرضة بأن الطبيب يريد رؤيتي .ارتجفت من الخوف، يريد رؤيتي ! هذا يعني بأنني مصابة بالمرض، يا الهي أرحمني !

دخلت لغرفة الطبيب بعينين باكيتين، فقال : تقدمي ولا تخافي ...

جلست مقابله، لكن ما أخبرني به، لم يخطر في ذهني ! لقد شفيت من السرطان قديما،هل عاد مجددا ؟ .فأخبرني أن الخلايا السرطانية تبقى في الشخص وتنشط بعد فترة من الزمن .لكنني لم آتي هنا، لأسمع هذا الكلام .. أتيت لأتأكد بأنني سليمة من الإيدز،وليس شيء آخر .

–بضع جلسات من العلاج وترتاحين من الأمر .

أعادتني هذه الكلمات إلى نقطة البداية، سبعة أعوام للوراء .هذه المرة أصعب من سابقتها، فأنا أعلم العلاج وتعذيبه، وأعلم أن الطبيب يكذب بشأن عددهم، وأعلم بأنني الآن أملك الكثير من الآمال والطموح، ولم أعد طفلة تخاف فقط على دميتها .خرجت من المستشفى وأنا شبه مدركة لَمَا حصل معي .عدت الى منزلنا، احتضنت أمي طويلا،فسألتني أمي :ما بك يا رهف، هل حدث مكروه معك ؟

لا لن أستطيع أن أخبرها بذلك !

نظرت لها وكأنني أودعها، كذبت وقلت، جاءتني سفرة مفاجئة للعمل، أريد السفر !

مانعت أمي بالبداية، ومن ثم قالت لي :أنتِ فتاة كبيرة وتعلمين جيدا مصلحة نفسك، لكن ما هذه السفرة المفاجئة ؟

-عليّ الذهاب اليوم !

-أخبري والدك بذلك ...

-سأخبره بالمساء ...

والدي رجل عظيم، منذ مرضي لم يغادر البيت، ولم يسافر خارج فلسطين .يبقى بجواري طوال اليوم، ويحاورني كصديق .والدي رجل رائع !.

وافق أبي بعد محاولات كثيرة لإقناعه، فحضرت نفسي، وخرجت ذهبت للطبيب ..

-أستطيع أن أبدأ بالعلاج الآن ...

عدت إلى المرض ذاته، بالألم ذاته أو أصعب قليلا، أقطن في غرفة بالمستشفى لوحدي، أغتنم الدقائق القليلة التي أصحو بها لأهاتف والدي وأخبره بأن كل شيء بخير .بعد شهر من العلاج، هاتفت تيم، لكن هاتفه مغلق، يا إلهي لقد نسيت كل شيء، أظن بأنه قد غادر البلاد،

وأتمنى بأنه لم يصب بمكروه .ما أشد الألم حينما يمتزج بالعاطفة، ما أشعر به الآن هو أنني طفلة تموت على هذا السرير لوحدها، لأنها خائفة من أن يعلم أحدهم، ويأخذ دميتها .كانت فترة العلاج مؤلمة حقا، لا أريد أن أذكر أحداثها مجددا، لا شيء يتغير، ما زالت المرضة تخطئ في تحديد المكان الذي تغرز به الإبرة،وما زال السائل الملون ذاته وجفاف الحلق ملازمان لي، وما زلت أنا أكره كل شيء .

اليوم شفيت تماما من المرض، ولا أستطيع أن أجزم بعدم عودته مجددا، لكنني الآن بصحة جيدة، أخرج من المستشفى وكأنني أسيرة قد عانت في السجن لمدة عامين أو أكثر.لم أقطن في المستشفى سوى بضع شهور، لكن العالم من حولي تغير كثيرا، أو أنا من تغيرت.لا أحتاج أن أبقي الأمر سرا الآن،لقد شفيت وانتهى الأمر .

وأول شيء خطر ذهني حينما غادرت المستشفى بأن أنشر هذه الخاطرة

تُحبّني ولا أحبكَ

تريدني ولا أريدك

تلتصقْ بي منذ سنواتٍ

تسلِبُ بهجتي!

ولا تفارقُني في حزني...

كنت صغيرةً...

قالت أمي هو ضيفٌ ثقيل الظل

لكن

لن يدوم طويلًا يا صغيرتي

أجبتها بأني لا أحب الغرباءْ...

لكنّك اغتصبتني!

على سريرٍ

وسَط غرفةٍ تفوح منها رائحةٌ مميزةٌ

ألقيتني...

أتتني غريبةٌ

تدّعي بأنها ستبعدُكَ عني

آلَتْني وهي تُهديني سوائلَ ملونةً بالوريد

تألمتُ وصرختُ

وتلك بدايتي معك..

ومن يومها لم تفارقني

بقيتَ كظلّي متمسكاً بي

تؤلمني نهاراً

وأنام ساعاتٍ طويلةً دون إرادتي

يصيبني الجفافُ

وأشعر برعشةٍ تسري في جسدي

فأعلمُ بأنك اقتربت مني..

فأستيقظ... أصرخ

لتأتيَ أمي تشتمك في سرّها

وتقول لي : لم يتبق سوى شهر وسيبتعد عنك!

وتحتضِنَني

وفي الصباح ... الي غريب آخر تأخذني

فيعدني مجددا بأنه سيبعدك عني!

وبمدة تزيد عن ما قالته أمي...

فأنظر الي أمي...

فأبكي بيني وبين نفسي!

بالأمس قمتَ بتعذيبي

فسقط شعري!

وسقطتُّ على الأرضِ من الألم...

غدوتُ طريحةَ الفراش كلَّ يوم...

وغدوتَ أنت حبيباً لا يفارقني

تحبني فتلتزم جسدي...

وأكرهكَ... ولا تبتعد عني!

تزوجتني!

لكنك مع أقرب صديقةٍ لي

قد خنتني

فرفعتُ يدايَ للّه مناجيةً بأن تطلقَني...

مرت سنواتٍ..

وأنا على أملٍ

بأن تنصفَني محكمةُ الأرضِ وعدلُ السماءِ

لأن تبتعد ... وأعود

لحياتي ...وفرحي

وابتسامةِ أمي ... وضحكاتِ أبي...

...وشعري

وبحكم من قاضي السماء .... هجرتني

فعدت لحياتي...

وعادت ابتسامتي...

لكن

بعدما ابتعدت عني....

أيها السرطان ... أرجوك لا تحب أحدا غيري....

وحينما قمت بنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي انهالت التعليقات والاستفسارات حول ما إذا كان قد عاد المرض لي مجدداً أم مجرد هلوساتٍ كتبتها! فأجبت: لا، أنا الآن بخير وبطريق عودتي للمنزل.

عدت إلى البيت،وقرعت الجرس مرتين، ففتحت أمي الباب، وما إن رأتني أمامها حتى بدأت بالبكاء: ما بكِ يا صغيرتي لمَ وجهك شاحب أين حاجبيك ؟

بالتأكيد بعد جلسات العلاج فقدت شعري وشعر حاجبي، فأخبرتها أنني اشتقت لها .أصيبت أمي بحالة من الصدمة، ولا تريد أن تكلمني

-كيف أخفيتِ ذلك عن الجميع ؟! هل عانيت لوحدك بالمستشفى ؟! لمَ فعلتِ ذلك .

اكتفيت بالصمت وفقط !

جاء والدي وعلم كل شيء، لم يغضب، لم يعاتبني، لكن اكتفى باحتضاني وقول " الحمد لله أنك عدت إلينا بخير " .

بعد ثلاثة شهور عاد كل شيء كسابقه، أنا بصحة جيدة، عُدت لحياتي السابقة أكتب ما شئت من الحروف وأقوم بإرسالها لإحدى الصحف لنشرها ، وقفت مجددا على قدماي وتناسيت جميع خيباتي ، لن أنكر بأنني قد عاتبت نفسي كثيرا على ما فعلته مع تيم ،وبأنني اقتربت كثيرا من الله ليغفر لي ما فعلت، أظن بأنني ظلمته قليلا، فأنا من قررت الابتعاد عنه من قبل اعترافه لي بعلاقاته أو مرضه ، وما كان اعترافه سوى طوق النجاة لي لأن أنهي هذه العلاقة معه، لكن تيم ما زال هاتفه مغلق للآن، حاولت الوصول إليه كثيرا، لكن لا أحد يعلم ما حصل معه،فقررت بأن أنساه، وأكرهه، وأخرجه من حياتي كيفما أخرجني منها، لقد مارس أنانيته معي مجددا .غادر دون أن يقول شيئا،وتركني وحيدة أصارع المرض وكل شيء ! أيعقل بأنه يصارع مرضه وحيدا مثلي ؟! لكن هل كرهني حقا ؟ هل هو بخير ؟، ومن ثم أقول : لا يهم كثيرا، لقد اختفى وفقط .

آه يا تيم وكأن القدر يريد أن يوقعني بك مرة أخرى .. لا يقبل مني أن أنساك صدفة وعبثا ... أبحث في "إيميلاتي القديمة"، فأجد رسالة قد قمت بحفظها، لآخر مرة قد تحدثنا به ا قبل أن ترحل ، فأخذت أقرأها، ومع كل كلمة آخذ نفسا عميقا، وامسح دمعي وأكمل .أدركت مع كل حرف أنني كنت حمقاء معك وبك .كيف سمحت لنفسي بأن أرجوك عدم الرحيل؟ أو كيف سمحت لها بأن تقول لك أحبك إلى ا لأبد ؟ أي أبد كنت أتحدث عنه ؟ أهوَ ذلك الأبد الذي سأشنق نفسي به، وأدوس على كبريائي لأبقيك بقلبي ؟!! أم ذاك العجز الذي سيقطنني ويمنعني من الحراك خارج قوقعة نفاقك ؟! أي كلمات بُحت لك بها حينها لتجعلني رهينة لحبك ؟!

"كزبك حلو يا احلى كزبة صدّئتا بحياتي"

أسمعها جيدا، وكأنها تناديني، وتقول لي هذه منك إليه، هذه خصِّصَت لكما سويا.وما زالت تتردد في ذهني تلك الكلمات التي كنت تقولها لي مرارا وتكرارا

لك "بيبي و حيبتيبي وشعنونتي وصغيرتي " .أهي حروف قد فطمت عليها لتقولها لكل امرأة قابلتها ؟! لكنني لم أكن امرأة! كنت طفلة

معك دائما وأبدا إلى أن افترقنا، هرمت حينها وفارقتني الطفولة وابتسامتها الخجولة، وأصبحت عجوزا في العشرين من عمري جرّاء فراقك فقط ! .أكرهك بقدر حبي لك، أكرهك بقدر كرهي لنفسي حينها.

هذا العام مشؤوم بالنسبة لي فقد فقدت فيه احدهم وقد كان رفيق لقلبي دائما، أتت أمي تصرخ .... لقد مات !

تجمدت في مكان، أصبح كل شيء يدور من حولي،ولم أجرؤ على أن استفسر من .....

كان كل شيء يتصارع بداخلي ، الحب والمرض والموت، ليس لي سوى الصمت .... وأن أقدم عزائي ...

تمّت مراسم الدفن بسلام، وذهب الناس إلى منازلهم، وأنا ما زلت أقف محدّقة بالقبر ، وأحاول التحدث معه ،كيف يشعر الميت حينما يفارقه الجميع ؟!

وهل يشعر بآخر شخص يقف على قبره، ولا يريد بأن يبتعد عنه، هل يشعر بحجم الحب والحزن عليه !

لطالما اقتربت من الموت، لكنني لم يسبق وأن خسرت أحدهم هكذا، رحمك الله، ورحم الله نفسي التى ستموت بعدك .

وتبقى الأنثى تعاني من الفقدان مرة ومرتين، وآلاف المرات كأنها خلقت لتعلم ما معنى هذه الكلمة !

وتبقى تبحر في القلوب، ومع كل قصة عشق، حياة أو م وت.ه ي تعلم معنى الفقدان، لكن ليس كالرجل الذي لا يعلمه سوى عند رحيل أحدهم من هذا العالم، فهو لم يعلم ما معنى أن تموت قطعة روحك التي حملتها تسعة أشهر، ورسمت مستقبلا له ا،لم يعلم كيف يموت في اللحظة التي يأتي بها إلى الحياة .هو لا يعلم مقدار الألم الذي ت تلمه عندما تفقد أحدهم،ولا يعلم أنها رقيقة بمقدار حبها له . هو ليس بلا قلب، وليس بلا رحمة، ولا بلا شفقة .. هو فقط عاش كي لا يستطيع فهمه ا، ولينعت بكاءها وكلامها بالثرثرة، ويهرب منها إلى بيت آخر، إلى عشيقةٍ،إلى أخرى .

بحجم الحب الذي تحويه الأنثى في قلبها الصغير، تستطيع أن تجعل العالم بأسره مليئا بهذا الحب .وبحجم الجرأة التي تملكها حينها، تجعله ينبهر من تصرفاتها وتسرعها وأنانيتها.

تمنيت ليوم أننا لم نلتق .تمنيتُ لو أنّ تلك الصدفة الغريبة التي جمعتنا ما حدثت في ذلك اليوم ! كم خذلتني يا تيم ! أكثر بكثير من خيبة عمر ! فعمر منذ البداية أنا من تعلقت به لا هو .أما أنت من حاول الوصول إلي مرارا وتكرارا دون أن يكل .كم تجاهلتك ولم أعلم أن تلك الورقة البيضاء الملوثة بالقليل من أكاذيبك ستصبح قدري الموجع الآن .

كيف لك أن تحادثني في تلك القسوة ؟ من أراد الاقتراب من الآخر ؟ أكره نفسي اليوم،وأكرهك أكثر حينما أتذكر لحظاتنا سويا، كيف لك أن تمسح دمعي وتنزله في الوقت ذاته ؟ كيف لك بأن تذهب متى شئت وتأتي متى أردت؟ لماذا أنت هكذا يا تيم!

شخصان لا تستطيع نسيانهما أنثى :أب شاب شعره حتى تصل إلى ما وصلت إليه،وذكر أغرقها بأشعار قبانيّة ثم رحل .كيف لها أن تنسى كل ما مرّا به سويا؟ أضع رأسي على وسادتي، رأسي المثقل بهموم تكبره حجما .أقترب من حاضري وأحاول أن أنسى ما مررت به من ماض مؤلم، لكن ما أقرب الماضي حين يعاد بالحاضر! وما أصعب طعم مرارته في المرة الثانية !

حتى الطفل الصغير حينما يتذوق شيئا ما ويجده مرا يبتعد ولا يقترب منه ثانية، فكيف سمحت لنفسي أن أثق برجل مرة أخرى ؟ ماذا كان يجول في خاطري؟ هل صدّقت ه نيهة أ نّه من الممكن أن أجد رجلا يحميني سوى والدي ؟ أو صدّقت أنّ الخيبة الكبرى هي التي تكسر ثم تجبر القلوب ؟هذه المرة أنا سيئة بحقك يا تيم، فلم أذكر أنني قمت بالدعاء على عمر لليلة واحدة، أما أنت فأنام كل ليلة و أنا أتمنى لو يعود يوم فنذوق به كل ألامي وحيدا . أتمنى لو يعاد الزمان يوما، وأخبرك بأنني لا أريد معرفتك أبدا .

يتسلل الهواء إلى غرفتي أو بالمصطلح الأصح إلى روحي فألقي بنفسي على السرير وأستنشق كل ذرة منه، وكأنني أحيا من جديد. أستمع لأغنية "كل حاجة بينا" لتامر حسني للمرة العاشرة، فأغرق بها وبك.... "عيني ما شافت نور، بمشي وبرجع نفس مكاني مهما بلف وبدور، إحساس بالعجز بيخنقني، زي الطير إلي يتمنى يطير بجناح مكسور" فأشعر بأنني أحتاجك وأشتاقك، مع أني لم أعد أحبك الآن، لكن وددت أن نكون سوياً، أن يعود الماضي وتعود اللحظة الأولى التي اعترفت لك بحبي... فيمر الوقت وأنا أستمع لها، لتختلط مشاعري، فأبكي. اشتقت لذلك الإحساس "الحب" الذي ينعش دقات قلبي،هذا

التبلد الذي يحيط بعالمي، بدأ يؤرقني، في السابق كنت لا أكترث كثيراً، لكن كلما تقدمت بالعمر، أخاف أن أبقى وحيدة دون إحساس بأن أحدهم يحبني بصدق، يعاتبني حينما أقصر بحق نفسي، يغرقني باهتمامه بي، ويشعرني بأنني موجودة على قيد الحياة، فأغلق نافذتي لأعود لواقعي، بأنني لطالما حاولت البحث عن أحدهم يقف بجانبي، وعايشت الحب مرتين، ولم أنل منه سوى خيبة ترافقني كلما وضعت رأسي على وسادتي، فأيقن بأنه ليس لي سوى نفسي لتسعدني، وأقول بأنني سأكون يوماً ما أريد، وحيدة أم لا.. لا يهم كثيراً.. سأكون قوية دائماً من أجل نفسي.

وددت لو أعلم ماذا تكون نهايتي، أو ماذا يخبئ لي القدر، هذه حكاية لم تنتهِ بعد، ستتكرر مع كل أنثى قرع أحدهم باب قلبها ففتحت له الباب، ليدخل ليسرق ما يشاء ويهرب باسم الحب، إن فشل قصة حب أو ألف قصة لا يعني بأن النهايات ستكون حزينة دائما، هنالك نهايات جميلة، لكن حينما تحبين بصدق ويحبك بصدق.

مرّ وقت طويل على كل شيء .. على فراق تيم، وعلى شفائي من مرضي.

قررت أن أسافر إلى إيطاليا لأكمل دراستي، وأحقق حلمي في زيارة فينيسيا الآن، أقف في مطار الملكة علياء، وأشعر برغبة عارمةٍ بالبكاء .. لقد أضعت حقائبي مجددا، أسمع صوتا ليس غريباً عني: هل هذه حقائبك يا رهف ؟!

أدير ظهري، وألتفت إليه: مجددا تيم!

أقع على الأرض، وأستيقظ ومن حولي الناس " هل أنتِ بخير ؟! "

أظن بأن ذلك كان حلما،فأقف على قدماي، وأمسك بحقيبتي، لأجد رسالة قد كتب عليها :كوني بخير،وتذكري وعدك والبصل .

خلال مدة لا تقل عن الأربع سنوات، نسجت لكم حكاية من وحي الخيال، لكن أقرب ما يكون إلى واقع تمر به أي أنثى أو رجل، حينما وصلت الخاتمة، وجدت من الظلم أن أنهيها كيفما أشاء، هذه قد تكون قصتك ولا يحق لي بأن أرسم لك النهاية، لذلك؛ اكتبوا ما شئتم من النهايات، وشاركوني بها، ولعل نهاية أحدكم تكون الأجمل، فتُكتب لأبطال هذه الرواية، هذه صفحة فارغة لتكتبوا ما شئتم بها، ولتجعلوها نهاية يستحقها تيم وتستحقها رهف..

حرروا خيالكم، ففي داخل كلّ منكم، رواية يودّ قولها، ونهاية يفضلها ..

لمن يرغب بإرسال النهاية لي على حسابي الشخصي :

Hadeel M Qasem

https://www.facebook.com/hadeel.qasem1

النهايـــة ....